مرويات جابر بن زيد والحسن البصري في التفسير
دراسة وتحليل

هاجر عمرو خليفة النامي

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

قسم القرآن والحديث
أكاديمية الدراسات الإسلامية
بجامعة ملايا
كوالالمبور
2010م

مرويات جابر بن زيد والحسن البصري في التفسير
دراسة وتحليل

هاجر عمرو خليفة النامي

قسم القرآن والحديث

أكاديمية الدراسات الإسلامية

بجامعة ملايا

كوالالمبور

2010م

Abstrak

Kajian ini memfokuskan kepada hadis yang diriwayatkan oleh Jabir Bin Zayd dan Hasan al-Basri, yang berkaitan dengan tafsir daripada kitab *Jami' al-Bayan* karangan al-Tabari dan Kitab *al-Jami' li Ahkam al-Qur'an* karangan al-Qurtubi. Kajian ini mendalami metodologi yang digunakan oleh perawi Jabir bin Zayd dan Hasan al-Basri dalam periwayatan berkaitan tafsir dan menjelaskan dasar pemikiran mereka dalam memahami nas al-Quran. Menerusi kajian ini akan dikenalpasti sumber-sumber yang digunakan oleh mereka dalam memahami al-Quran. Justeru itu mengenali secara lebih mendalam peribadi kedua-dua tokoh ini adalah perlu, kerana dengan demikian dapat ditentukan kedudukan hadith-hadith yang diriwayatkan oleh mereka, juga dapat ditentukan aspek persamaan dan perbezaan dalam periwayatan hadith tersebut.

Topik pertama membincangkan zaman Imam Jabir bin Zayd, kehidupan, latar belakang pendidikan, sumbangan keilmuan, mazhab yang dianuti dan sejarah kematian. Topik kedua membincangkan riwayat hidup Imam Hasan al-Basri, kedudukan keilmuan, sumbangan dalam bidang ilmu dan sejarah kematian. Topik ketiga memfokuskan hadith-hadith berkaitan tafsir yang diriwayatkan oleh mereka berdua berkenaan ilmu ulum al-Quran, akidah dan fiqh. Topik keempat menjelaskan kajian perbandingan tentang hadith-hadith *marwiyyat al-tafsiriyyah* yang dikemukakan oleh mereka. Aspek yang ditonjolkan adalah metodologi periwayatan dan analisis perbandingan metodologi yang digunakan itu.

Abstract

This study focuses on gathering the narratives of Jabir Ibn Zayd and al-Hasan al-Basri on interpretation of the Holy Quran, this operation will be done through browsing these two books: Jami' Al-Bayan by *al-Tabari and Al-Jami' li 'Ahkami al-Qur'an by al-Qurtubi*. The study also aims to examine these narratives in order to discover their methodology, the originality of their thought and the areas of their opinions in understanding the Quranic text, thus inferring the sources and tools they used in their understanding which requires knowing their personality characteristics and their status in the sight of the scholars specialized in this science. The use of that may come in three main points, the first is to classify these narratives according to the rules and regulations of interpretation science, the second is to know to which extent it is possible to arrange these narratives in independent interpretation books, otherwise they are considered merely interpretative opinions, and the third is to state the similarities and the differences the two narratives throughout the chapters of this study.

The first chapter consists of a study of the epproach of the Imam Jabir Ibn Zayd, his life and academic background, his scientific legacy, his leadership of the Ibadiyyah denomination and lastly his death.

The second chapter discusses the life and upbringings of Imam al-Hasan al-Basri, his scientific status and legacy, being the reference of al-Mu'tazila denomination and his death.

The third chapter focuses on the interpretative narratives of the two scholars in these three domains: Quranic science, Islamic Creed and Islamic Jurisprudence.

The forth and the last chapter displays a comparative study between the two narratives through two steps: showing each one's method in the narration then comparing between the two methods

ملخص البحث

ترتكز هذه الدراسة على تجميع مرويات جابر بن زيد، والحسن البصري في التفسير من خلال تفسير جامع البيان للطبري، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ودراستها دراسة تبرز لنا منهجية كل منهما، وتعرفنا بأصالة فكرهما، ونواحي الاجتهاد في فهم النص القرآني لديهما، ومن ثم الوصول إلى المصادر والأدوات التي استخدماها في هذا الفهم، وهذا يستدعي معرفة معالم شخصية كل منهما، ومترلتهما لدى علماء هذا العلم، حتى نتوصل إلى تصنيف هذه المرويات وفق قواعد علم التفسير وضوابطه، وما مدى إمكانية تصنيف هذه المرويات ضمن كتب التفسير المستقلة، أو أنها مجرد آراء تفسيرية؟ وكذلك بيان أوجه الالتقاء والتوافق بينهما في تلك المرويات، وأوجه الاختلاف والتميّز بينهما، وذلك من خلال فصول هذه الدراسة.

فتناول الفصل الأول دراسة عصر الإمام جابر بن زيد ، وحياته ونشأته العلمية، وآثاره العلمية، وإمامته للمذهب الإباضي، ووفاته.

وتناول الفصل الثاني حياة ونشأة الإمام الحسن البصري، ومكانته العلمية، وآثاره العلمية، وانتساب المعتزلة إليه، ووفاته.

وركز الفصل الثالث على مرويات التفسير عند الإمامين، من خلال عرض مروياتهما في علوم القرآن، ومروياتهما في الجانب العقدي، والجانب الفقهي.

وتعرض الفصل الرابع لدراسة تلك المرويات التفسيرية ومقارنتها، وذلك بإبراز منهج الإمامين في الرواية، والمقارنة بين منهجهما في المرويات.

الإهـــداء

إلى حلم شاخ في الأوردة، وضحكة تسري بيننا كلما مضى بنا العمر: أبي ..

إلى التي انحني خجلاً أمامها؛ لأخبرها أني عاجزة عن شكرها عاجزة أمام عملاق التضحيات الذي قدمته، فلا أملك سوى أن اصمت لعلّي بصمتي أتعلم العطاء منها: أمي.....

إلى من قـــلـــّم أغصاني وسقى بروحه ورودي وكان أستاذي ودليلي إلى العلم منذ نعومة أحلامي: زوجي... إلى حبات الفؤاد و زينة حياتي: عبد العزيز، وعبد المنعم، ويزن، وسلمى...

إلى أحبتي وضياء القلب: إخوتي محمد ومسعود وأحمد، إلى شموع عمري وشقيقات روحي: زينب وحنان وسمية .... إلى صديقتي...

وإلى كل مسلم حرّ..

أهدي هذا العمل المتواضع

هاجر

شكـــر وتقـــدير

أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده ويدفع عني نقمه...

من لايشكر الناس لايشكر الله

ولو أنني أوتيت كل بلاغة وأفنيت بحر النطق في النظم والنثر

لما كنت بعد القول إلا مقصراً ومعترفاً بالعجز عن واجب الشكر

أخط شكري وفاءً إلى روح الأستاذ الدكتور عبد الرشيد أحمد – رحمه الله – مشرفي الأول على رسالتي هذه، وما أبداه من نصح وتوجيه.

كما أتقدم بجزيل الشكر للأستاذ الدكتور مصطفى بن عبد الله على ما أبداه من ملاحظات وتنبيهات قيمة أفدت منها في بحثي..

وأتقدم بشكري للأستاذ خالد سعيد تفوشيت على ملاحظاته القيمة وتوجيهاته...

والشكر كل الشكر لكل من دفع بي إلى الأمام ولو بكلمة....

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بهذا العمل المتواضع، وأن يجعله في ميزان حسناتي..

محتويات البحث

المقـــــدمة.....أ

- مجال البحث.....أ
- أهداف البحث.....ج
- حدود البحث.....ج
- فرضية البحث.....د
- إشكالية البحث.....د
- أسئلة البحث.....ه
- الدراسات السابقة.....ه
- منهجية البحث.....ح
- هيكلية البحث.....ح

التمهـــيد.....**1**

نشأة التفسير عند التابعين **2**

الفصل الأول: جابر بن زيد: حياته وآثاره.....**14**

المبحث الأول: عصر الإمام جابر بن زيد.....15

المبحث الثاني: حياته ونشأته العلمية.....17

المبحث الثالث: آثاره العلمية.....24

المبحث الرابع: إمامته للمذهب الإباضي.....29

المبحث الخامس: وفاته.....33

الفصل الثاني: الحسن البصري: حياته وآثاره.....**35**
المبحث الأول: حياته ونشأته.....36
المبحث الثاني: مكانته العلمية.....39
المبحث الثالث: آثاره العلمية.....42
المبحث الرابع: انتساب المعتزلة إليه.....45
المبحث الخامس:وفاته.....54
الفصل الثالث: مرويات التفسير عند جابر بن زيد والحسن البصري.....**55**
المبحث الأول: مروياتهما في علوم القرآن.....62
المبحث الثاني: مروياتهما في الجانب العقدي.....89
المبحث الثالث: مروياتهما في الجانب الفقهي.....100
الفصل الرابع: مرويات التفسير عند الإمامين: دراسة مقارنة.....**122**
المبحث الأول: منهج الإمام جابر بن زيد في الرواية.....123
المبحث الثاني: منهج الإمام الحسن البصري في الرواية.....131
المبحث الثالث: مقارنة بين منهج الإمامين في الرواية 140
الخـــــاتمة **143**
- أهم نتائج البحث.....142
فهرس المصادر والمراجع **146**

المقدمة

مجال البحث.

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله القهار العزيز الغفار المكو ر الليل على النهار تذكرة لأولي القلوب والأبصار، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

ثم أما بعد..

فقد فاضت نعم الرحمن على خلقه فبعث محمداً – صلى الله عليه وسلم – برسالة شاملة كاملة لكل ماتحتاجه البشرية لتنظيم حياتها، وحل لكل مشاكلها، وحجة على العالمين، والقرآ ن الكريم هو المنهل الجامع لهذا التنظيم ومطلع الهداية كلها، فهو نور يخرج من الظلام، وهد ي من كل ضلال وغي، فم ن نهجه فقد ربح ومن بعُد عنه تاه وشقي وتعس.

ونحن إذا عدنا نتصفح تاريخ السلف الصالح الذين تلقوا م ن الرسول – صلى الله عليه وسلم – القرآن غضاً طرياً، فكان مطلبهم أناء الليل وأطراف النهار، نجد أنهم بالقرآن والسنة استطاعوا تحقيق ما يريدونه من أشياء ما كان العقل يتصورها، فقد كان القرآن مصدر عزتهم وقوتهم، استوحوا هذه العزة والقوة بإدراكهم له؛ لذلك كانوا يدأبون عليه تلاوةً وعملاً ودراسةً، فتمثلت فيهم صفات الإيمان بالقرآن الكريم التي ذكرها الله سبحانه وتعالى عند قوله: {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ}[سورة السجدة (32): 5] فسكنوا للقرآن، وسكنهم قلباً وقالباً أسوتهم في ذلك حبيبهم محمد – صلى الله عليه وسلم – فقد كان خلقه القرآن، والله سبحانه وتعالى يريد من عباده أنْ يدركوا طوايا هذا الكتاب من المعاني القيمة، إذ لا يمكنهم دون ذلك أن يهتدوا بهداه، وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – بين ظهرانيهم يرجعون إليه فيما أشكل عليهم من ألفاظ؛

فلذلك كان أصحابه – رضي الله عنهم – أعلم الناس بمعاني القرآن، وبمجمله ومفصله، وناسخه ومنسوخه، ومطلقه ومقيده، وخاصه وعامه، وعنهم أخذ الكمُّ الضخم من المتعلمين للدّين والمفسرين للقرآن الكريم وهم التابعين، ففسروا كل ما لم يتضح، واجتهدوا فيه حق اجتهاده، وتوالت البحوث من بعدهم حول القرآن، ب ل وكثُرت وتنوعت وتباينت وتعددت مناهجها وطرقها، ولا يزال هذا المورد غضاً معطاءً، ومعين لا يجف على تطاول الدهور، وتطور دروب الحياة يَرِدُه رواد الفكر، وعلماء الشريعة، وأساطين البيان، حيث اعتنوا به ودرسوه، وأيقظوا ما فيه من العلوم، وبحثوا في مختلف جوانبه الجديرة بالبحث فخلفوا لن ا ميراثاً ضخماً في هذه العلوم، وكان من بينهم علم التفسير، والذي يعدُّ أساس العلوم الشرعية ومنطلقها.

والمفسرون في عهد التابعين على طبقات بحسب اختلاف المدارس التي تخرجوا منها، وكانت مدرسة حبر الأمة، وترجمان القرآن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – على قمة هذه المدارس في علوم التفسير، وتلاميذته في مقدمة المفسرين من التابعين، وقد اشتهر منهم أربعة مجاهد، وسعيد بن جُبير، وعكرمة، وطاوو س، وهم أهل مكة، وتليهم مدرسة عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – ويليهم أهل المدينة أصحاب زيد بن أسلم.

وإذا كان أصحاب ابن عباس على رأس قائمة المفسرين في عهد التابعين، فلا ريب أنّ الإمام أبا الشعثاء جابر بن زيد كان ضليعاً بعلوم التفسير، فإنه من أشهر من صحب ابن عباس، ومن ألصق تلاميذه به وأكثرهم أخذاً عنه، وقد كان ابن عباس – رضي الله عنهما – معتزاً بتلميذه جابر بن زيد – رحمه الله – إلي حد بعيد، ومعترفاً له بما يجدر أنْ يعترف به مثلُهُ لمثلِه، ومما قاله عنه: عجباً لأهل العراق ! يحتاجون إلينا وعندهم جابر بن زيد لو قصدوا نحوه لوسعهم علمه، وكذلك الأمر بالنسبة للتابعيّ الجليل الحسن البصريّ، فقد كان عالماً جامعاً بارعاً في شتى علوم الدِّين، في العقائد، والتفسير، والحديث، والفقه، وكان من التلاميذ الذين أخذوا جلّ علمهم من مدرسة

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، والتي كانت تنهج نهج الفاروق عمر رضي الله عنه في تلمس مقاصد الشارع، فهما كفرسي رهان.

أهداف هذه الدراسة.

1 – إبراز ما تناثر بين مدونات التفسير من أقوال هذين التابعيْن الجليلين – وبالتحديد في تفسير الطبريّ والقرطبيّ – وإظهارها وتخريجها تخريجاً علمياً.

2 – دراسة جوانب شخصية هذين الإمامين، والتعرف على مدرستهما العلمية، وأهم ما تميزت به معالم الشخصيتين.

3 – دارسة الإسهامات التي قدمها الإمامان في مجال التفسير، وذلك بتتبع مناهجهم وطرائقهم، ومعرفة قواعدهم، والوقوف على اجتهاداته م وتخريجاتهم، والاستفادة منها في معالجة الإشكالات التي تواجه الأمة.

حدود البحث.

ترتكز هذه الدراسة على تجميع مرويات جابر بن زيد، والحسن البصريّ في التفسير واستقرائها، من كتابين مشهورين في التفسير أحدهما من كتب التفسير بالمأثور، وهو تفسير جامع البيان للطبريّ، والآخر هو الجامع لأحكام القرآن للقرطبيّ، وهو إن غلب عليه الطابع الفقهي، وتتبع آيات الأحكام إلا أنه لم يهمل الجوانب الأخرى للتفسير، وقد اعتمدت عليهما بسبب اهتمامهما بنقل أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين، ولا يعني هذا إهمال بقية التفاسير، ولكن سوف استعين بها بما يوسع من آفاق الموضوع، ويتمم النقص، كما أن هذا التحديد يساعد على تنظيم الدراسة وضبطها في الحد المقرر، والمسموح به في الرسائل الجامعية.

فرضية البحث.

تدور فرضية البحث حول مدى إمكانية تجميع مرويات جابر بن زيد، والحسن البصريّ في التفسير ودراستها دراسة تبرز لنا منهجية كل منهما، وتعرفنا بأصالة فكرهما، ونواحي الاجتهاد في فهم النص القرآني لديهما، ومن ثمّ الوصول إلى المصادر والأدوات التي استخدماها في هذا الفهم .

إشكالية البحث.

تنبع إشكالية البحث من استقراء المرويات التفسيرية عند الإمامين المبثوثة في تفسيري الطبريّ والقرطبيّ، وذلك نظراً لتصنيف كل منهما ضمن علماء التفسير، وهذا يستدعي معرفة معالم شخصية كل منهما، ومترلته في المدونة التفسيرية عامة، وعند الطبريّ والقرطبيّ خاصة، فهل ما روي عنهما في التفسير شيء كثير يمكن أن يفرد في كتاب خاص يطلق عليه كتاب تفسير؟ وكذلك البحث في تخريج الحديث والرواية لديهما وفي أي المراتب هما، واستقصاء ذلك بدراسة وجهات نظر علماء الجرح والتعديل في ذلك.

وهل كان جابر متبعاً لمدرسة شيخه ابن عباس، وجامعاً بين المأثور والرأي في ذلك؛ نظراً لأنه من علماء العراق أصحاب الرأي، وشيخه من علماء الحجاز أصحاب الأثر، أضف إلى ذلك أنّ جابراً كان محدثاً موثوقاً لدى أصحاب هذا العلم، فما هي الإسهامات التي قدمها لهذا العلم ؟

وكذلك الأمر عند الحسن البصري حيث تتب ع أقواله، وعمن أخذها من التابعين، والنظر في آرائه المعروفة، والمنهجية التي اتبعها في مجال التفسير القرآني، والروايات التفسيرية التي رويت عنه.

أسئلة البحث.

بناء على الفرضية السابقة، و على إشكالية البحث القائمة، يتبين لنا أنه هناك تساؤلات عدة تطرح نفسها أمامنا، وهي ما سنحاول أن نجيب عليها من خلال هذه الدراسة وهي كما يأتي:

1 – من هما هذين التابعين، وما علاقتهما بالتفسير، وعلى من أخذا هذا العلم ، وما مترلتهما بين علماء هذا الفن؟

2 – هل تعد مرويات كل منهما آراء تفسيرية لها أثرها البارز في النهوض بهذا العلم، وعلى اعتبارها كذلك هل يجوز لنا أن نطلق على مرويات كل منهما " كتاب تفسير " وفق قواعد وضوابط هذا العلم ؟

3 – ما معالم التفسير عند كل منهما، وما هو المنهج المتبع عندهما في التفسير ؟

4 – ما أوجه الالتقاء والتوافق بينهما في تلك المرويات، وأوجه الاختلاف والتميُّز بينهما ولاسيما وأنَّهما يختلفان من حيث المصدر والتلقي رغم أنهما ينتميان إلى مدرسة واحدة هي البصرة ؟

الدراسات السابقة.

1- فقه الإمام جابر بن زيد تقديم وجمع وتخريج يحى محمد بكوش (**1986**م) بيروت: لبنان، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى.

تناول المؤلف في هذه الدراسة الجانب الفقهي عند الإمام جابر بن زيد، وجمع أقواله وضمنها في مجموعة فتاوى وآراء فقهية، تعرض في الباب الأول: لحياة الإمام جابر في ثلاث عشرة مسألة، غطت أهم جوانب حياته ونشأته الاجتماعية والعلمية والسياسية، والدراسة ركزت على الجانب الفقهي وغطته، من خلال مسائل قسمها على أبواب الفقه، مدرج ضمنها أو في مقدمتها مسائل في القرآن وعلومه مرتبطة بآيات الأحكام، وهي إلى التفسير أقرب، وابتدأ المسائل الفقهية بالطهارات، ثم

الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، ومسائل النكاح والطلاق وما يتبعها، وحدد بعض مسائل البيوع في المعاملات، ومسائل في الأقضية والأحكام، ومسائل في الذكاة والأطعمة والكفارات والنذور والوصايا والمواريث والعتق، وقد أفدت من هذه الدراسة أيما إفادة، خاصة في الجانب الفقهي للإمام جابر بن زيد.

2- الإمام جابر بن زيد الأزدي ومروياته في التفسير وعلوم القرآن، من إعداد الطالب عبد الله بن علي بن سالم الرويشديّ (رسالة ماجستير نوقشت بكلية الدراسات الفقهية والقانونية، قسم أصول الدين، جامعة آل البيت، الأردن، لعام 2001-2002)م.

وهدفت هذه الدراسة إلى حصر ماورد عن الإمام جابر بن زيد الأزديّ من روايات تتعلق بتفسير القرآن الكريم وروايات تتعلق ببعض علومه من خلال أربعة كتب من كتب التفسير قام بذكرها وتوضيح هذه الآراء وهل يعتد بها وأن تكون آراء تفسيرية أم لا؟ وقام بتوضيح أو تحديد مروياته تماماً المبثوثة في هذه الكتب ليوضحها هي في ذاتها لا أن يشير إشارة من بعيد كما تفعل معظم الكتب.

3- جابر بن زيد حياة من أجل العلم: تأليف الدكتور أحمد درويش، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة 1991م.

وهذه الدراسة رغم ثرائها بالمعلومات القيمة في جوانب عدة من حياة جابر إلا أنها لم تركز على اهتمام الإمام جابر بالفقه وأصوله، والحديث وعلومه أو التفسير وقضاياه، وإنما اكتفت بإشارات لذلك عند حديثه عن مكانة جابر العلمية، وكان أكثر تركيزها على الجوانب الاجتماعية، والسياسية، وأكثر ما يشد قارئ هذا الكتاب الأسلوب الذي اتبعه مؤلفه الذي جنح فيه إلى الأسلوب الخطابي والإنشائي.

4- المرسل الخفي وعلاقته بالتدليس: تأليف الشريف حاتم بن عارف العوني، الرياض: المملكة العربية السعودية، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة 1997م.

وهو عبارة عن دراسة نظرية وتطبيقية على مرويات الحسن البصريّ تعرضت هذه الدراسة لحياة الإمام الحسن من جوانب متعددة أهمها ما يتعلق بالرواية عند الحسن، كما أنها لم تهمل الجوانب المتعلقة بحياته، ولاسيما التي أثرت كما يرى المؤلف في اتباث سماعه عمن روى عنهم أو نفيه بالمقابل، ووضح فيها مرتبة مراسيل الإمام الحسن البصريّ، وتدليسه وأثره في الرواية، وتعرض لتتبع رواة هذه المراسيل ودراستها، ومدى ثقة علماء الجرح والتعديل بهم، وقد أسهب في سرد أسماء الرواة القابلين لهذه الراويات، وقد استطرد بإيراد تراجمهم بالتفصيل، وكذلك فعل بخصوص الموهنين لها، مدعماً ذلك بذكر حجج الطرفين، وهي دراسة مفيدة ومهمة أفدت منها في دراستي لمنهج الحسن في الرواية.

5- الحسن البصريّ الحكيم الواعظ الزاهد العالم: تأليف الدكتور مصطفى سعيد الخن، دمشق: سوريا، دار القلم، بيروت: لبنان، والدار الشامية، الطبعة الأولى، سنة 1995م.

عرض فيها المؤلف مراحل مهمة من حياة العالم الجليل بأسلوب وطريقة جداً منظمة، ثم قام بسرد بعض النماذج من مروياته في العقيدة والتفسير والحديث والفقه عنده، لإبراز مكانة هذا العالم الجليل، ومدى رسوخ قدمه في العلم.

6- موسوعة فقه الحسن البصري: تأليف الدكتور محمد روّاس قلعه جي، دار النفائس، الطبعة الثانية، سنة 2007م.

وقد ركزت هذه الدراسة على الجانب الفقهي لذى الحسن البصري، وأبرزت منهجية الحسن في استقصائه للآراء الفقهية، وقد سار على نسق دوّن فيها فقهه بطريقة مؤبجدة شأنه في ذلك شأن من رتب فقه غيره من فقهاء السلف، لتسهيلها على القارئ أو الدارس.

منهجية البحث.

اعتمدتُ في هذه الدراسة على المنهج القائم على استقراء المرويات التفسيرية لدى الإمامين جابر والحسن، في تفسير الطبريّ وتفسير القرطبيّ، ودراستها لمعرفة مسالكهم وطرائقهم فيها، وفي عرض جوانبها الأخرى، وبيان تفصيلاتها المتعلقة بعلوم القرآن، والعقيدة، والفقه، فهو منهج يعتمد على الاستقراء والعرض والوصف والتحليل، لخدمة البحث في هذا الموضوع.

هيكلية البحث:

تتكون هيكلية البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

المقدمة: وتتكون من أهمية الموضوع وأهدافه، وحدوده وإشكالية البحث ومنهجيته.

التمهيد: تحدثت فيه عن نشأة التفسير عند التابعين.

الفصل الأول: جابر بن زيد: حياته وآثاره، وقد قسمته إلى خمسة مباحث تناولت في المبحث الأول: عصر الإمام جابر بن زيد، وفي المبحث الثاني: حياته ونشأته العلمية، وفي المبحث الثالث: آثاره العلمية، وفي المبحث الثالث: إمامته للمذهب الإباضي، وفي المبحث الثالث: وفاته.

الفصل الثاني: الحسن البصريّ: حياته وآثاره، وهو مقسم أيضاً إلى خمسة مباحث وقد كان الحديث فيها أيضاً عن حياة ونشأة الحسن البصريّ، ومكانته العلمية، وكذلك آثاره العلمية، وانتساب المعتزلة إليه، ثم وفاته.

الفصل الثالث: مرويات التفسير عند جابر بن زيد والحسن البصريّ، وقد تعرضت فيه لمروياتهما في التفسير من خلال ثلاث مباحث أساسية، فكان الحديث في المبحث الأول: عن علوم القرآن، و في المبحث الثاني: عن مروياتهما في الجانب العقدي، و في المبحث الثالث: عن مروياتهما في الجانب الفقهي.

الفصل الرابع: مرويات التفسير عند الإمامين: دراسة مقارنة، وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث، تناولت في المبحث الأول: منهج الإمام جابر بن زيد في الرواية، وفي المبحث الثاني: منهج الإمام الحسن البصريّ في الروية، و في المبحث الثالث: المقارنة بين منهج الإمامين في الرواية.

الخاتمة: وتتضمن خلاصة البحث، وأهم النتائج التي توصلت إليها من خلاله.

وصلي اللهم وبارك وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربي العالمين.

يوم الأحد 2010/11/1 م

ماليزيا، كوالالمبور

التمـــــــــــــهيد.

نشأة التفسير عند التابعين

نشأة التفسير عند التابعين

نشأ التفسير [1] على يد معلم البشرية محمد – صلى الله عليه وسلم – الذي لا ينطق عن الهوى، وقد انقسم التفسير المروي عنه إلى قسمين:

الأول: عبارة عن تفسير لبعض المفردات، أو الألفاظ المجملة ، وهذا قليل لكون القرآن نزل بلسان عربي مبين في قوم سليقتهم العربية فلم يكن ثمة حاجة ماسة للإغراق في مثل هذا النوع من التفسير عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – [2].

([1]) وردت كلمة التفسير في اللغة بعدة معاني، فقال ابن منظور: " الفَسْرُ البيان فَسَرَ الشيءَ يفسِرُه بالكَسر وتَفْسُرُه بالضم فَسْراً وفَسَّرَهُ أَبانه والتَّفْسيرُ مثله، ابن الأَعرابي التَّفْسيرُ والتأْويل والمعنى واحد، وقوله عز وجل: {وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً}[سورة الفرقان (25): 33] الفَسْرُ كشف المُغَطّى والتَّفْسير كَشف المُراد عن اللفظ المُشْكل والتأْويل ردّ أَحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر واسْتَفْسَرْتُه كذا أَي سأَلته أَن يُفَسِّره "محمد بن مكرم بن منظور (د.ت) **لسان العرب**، بيروت: لبنان، دار صادر، ط 1، ج5، ص55.

وقال ابن فارس: " الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلُّ على بيانِ شيءٍ وإيضاحِه. من ذلك الفَسْرُ، يقال: فَسَرْتُ الشَّيءَ وفسَّرتُه. والفَسْر والتَّفسِرَة: نظَر الطَّبيب إلى الماء وحُكمهُ فيه" وبهذا يتبين لنا أنَّ التفسير في اللغة يعني: الكشف عن المغطي الحسي والمعنوي، وقد اشتهر لفظ التفسير مقرونا بالقرآن حتى أصبح التفسير علماً وفنا إذا أطلق كأن تقول: أقرأ في التفسير، فيفهم منك أنك تقرأ كتاباً كاشفاً لمعاني الكلمات أو التركيب القرآني. ابن فارس (1991) **مقاييس اللغة**، دار الجيل (د،ت)، ط1، ج 4، ص504.

أما معناه في الاصطلاح فقد تعددت التعريفات الاصطلاحية لكلمة التفسير؛ ويرجع ذلك إلى الأسس التي انطلق منها كل تعريف، فيري بعض العلماء: "أن التفسير ليس من العلوم التي يتكلف لها حد؛ لأنه ليس قواعد أو ملكات ناشئة من مزاولة القواعد كغيره من العلوم التي أمكن أن تشبه العلوم العقلية" [1]، ويري البعض الأخر: "أن التفسير من قبيل المسائل الجزئية أو القواعد الكلية أو الملكات الناشئة من مزاولة القواعد كغيره من العلوم التي أمكن أن تشبه العلوم العقلية" ، محمد حسين الذهبيّ (2000) **التفسير والمفسرون**، القاهرة: مصر، مكتبة وهبة، د.ط،ص 12.

وقال الشريف الجرجانيّ: التفسير في الأصل: هو الكشف والإظهار ، وفي الشرع: توضيح معنى الآية، وشأنها، وقصتها، والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة. الشريف الجرجاني (1405) **التعريفات**، دار الكتاب العربي، د.ط، ص87.

وقال ابن عاشور في المقدمة الثانية من مقدماته لتفسير التحرير والتنوير: "هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع والمناسبة بين المعنى الأصلي والمعنى المنقول إليه لايحتاج إلي تطويل، وموضوع التفسير ألفاظ القرآن الكريم من حيث البحث عن معانيه، وما يستنبط منه". محمد الطاهر ابن عاشور (1984) **التحرير والتنوير**، تونس: الجمهورية التونسية، الدار التونسية للنشر ، ط 1، ج1، ص11.

([2]) انظر عبد الرحمن بن خلدون (1389هـ) **المقدمة**، القاهرة: مصر، دار الشعب، ص489.

الثاني: التفسير الإجمالي والموضوعي لجميع مقاصد القرآن، وهذا في الحقيقة قد بينه النبي – صلى الله عليه وسلم – أيما بيان فالمتأمل لكتاب الله يجد أنه تكلم عن مباحث العقيدة وهذه المباحث قد أخذت جانباً عظيماً من أحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم – مفسرة لمضمونها وشارحة لمقصودها، كما تحدثت آيات أخرى عن أحكام العبادات، وهذه جل الأحاديث النبوية تفسرها وتوضح مجملها، وعن أحكام المعاملات، وهي أيضا أخذت جانبًا كبيراً من السنة النبوية التي لم تدعها إلا واضحة جلية، ولم يبق إلا آيات تتعلق بسيرة النبي – صلى الله عليه وسلم – ومغازيه وعلاقاته بالمشركين والكتابيين، وهذه لا مفسر لها إلا ما أثر عنه – صلى الله عليه وسلم – من تلك الأحوال، وآيات تتعلق بقصص الأنبياء السابقين، وهذه تلاوتها تغني عن تفسيرها، وبعض ما احتيج فيه إلى تفسير بينه النبي – صلى الله عليه وسلم – ورخص في الحديث عن بني إسرائيل، وما كان فضلاً تركه.

وبناء على ما تقدم فجل القرآن الكريم قد فسره النبي – صلى الله عليه وسلم – ومن خالف ذلك فقد أتي من قبل نظرته للنوع الأول من التفسير المروي عنه – صلى الله عليه وسلم – فقط، ولم يتنبه للنوع الثاني، وعن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أخذ التفسير أصحابه الكرام، قال أبو عبد الله الحاكم : إن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل حديث مسند، يعني به ماكان من سبب نزول ونحوه[3].

([3]) انظر أبي عبد الله الحاكم النيسابوري (2003) **معرفة علوم الحديث** (تح: أحمد بن فارس السلوم) بيروت: لبنان، دار ابن حزم، ط1، ص148،149.

– وانظر أبا عمرو عثمان ابن الصلاح (د.ت) **مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث** (تح: نور الدين عتر) دون تحديد لمكان النشر والطبعة، ص50.

وقد اعتمد الصحابة– رضي الله عنهم – في تفسيرهم على أربعة مصادر: القرآن الكريم، النبي – صلى الله عليه وسلم – الاجتهاد وقوة الاستنباط بما لديهم من لغة عربية وفهم ثاقب، أهل الكتاب، ولكل مجاله[4].

وعن طريق الصحابة – رضي الله عنهم – انتشر التفسير وظهرت مدرسة التفسير بالمأثور متمثلة أظهر ما تكون في حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس، ثم غيره من مفسري الصحابة، مثل: عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وعلي بن أبي طالب، وبقية الخلفاء الأربعة، وعبد الله بن الزبير، وغيرهم[5].

وتطورت مدرسة التفسير في عصر التابعين، فتولد منها مدارس حسب انتشار الصحابة في البلدان، وعبر الزرقاني عن هذه المدارس بالطبقات، حيث قسم أشهر المفسرين من التابعين إلى ثلاث طبقات: طبقة أهل مكة، وطبقة أهل المدينة، وطبقة العراق[6].

وكان لكل مدرسة خصائصها، ومميزاتها وأساتذتها، وطلابها، والمراد من كلمة مدارس التفسير معنى أشمل من بناء يحصل فيه التعليم، وهو المنهج العلمي المتبع عند الرجال الذين ينتسبون إليها.

وأشهر مدارس التفسير مدرسة التفسير بمكة، لأنهم أصحاب ابن عباس، ثم مدرسة التفسير بالمدينة، ومدرسة التفسير بالعراق [7].

ويمكن تقسيم هذه المدارس على حسب البيئات والأمصار التي نشأت فيها كالحجاز والعراق.

([4]) انظر الذهبيّ (2000) **التفسير والمفسرون**، مرجع سابق، ج1، ص31.

([5]) انظر الذهبيّ (2000) المرجع نفسه، ج1، ص49.

([6]) انظر محمد عبد العظيم الزرقانيّ (1995) **مناهل العرفان في علوم القرآن** (تح: فوّاز أحمد زمرلي) بيروت: لبنان، دار الكتاب العربي، ط1، ج2، ص 18.

([7]) انظر جلال الدين السيوطيّ (1996) **الإتقان في علوم القرآن** (تح: سعيد المندوب) بيروت: لبنان، دار الفكر، ط1، ج2، ص 498،499.

أولا: مدرسة الحجاز.

ويعبر عن مدرسة الحجاز بمدرستي (مكة والمدينة) في كثير من المؤلفات.

أ- مدرسة مكة:

تعدُّ هذه المدرسة أم المدارس إن صح التعبير، فقد وسعت مدراك التفسير؛ لأن تلامذتها هم أهل مكة، ومعلمهم حبر الأمة عبد الله بن عباس —رضي الله عنهما — الذي كان يجلس لأصحابه من التابعين يفسر لهم كتاب الله، ويوضح لهم ما أشكل عليهم من معانيه، فأعلم الناس بالتفسير هم أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس الذي تتلمذ على يد عمر بن الخطاب وأبي بن كعب وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة ، - رضي الله عنهم أجمعين - وأشهر تلاميذه مجاهد ، وعطاء بن رباح، وعكرمة مولى ابن عباس، وطاوس بن كيسان، وأبي الشعثاء جابر بن زيد، وسعيد بن جبير[8].

ب- مدرسة المدينة.

وقد قامت هذه المدرسة على يد الصحابي الجليل أُبَيِّ بن كعب -رضي الله عنه - سيد القراء الذي يعد من أكثر الصحابة - رضي الله عنهم - شهرة بالمدينة في هذا المجال فهو أشهر من تتلمذ عليه مفسروا التابعين بالمدينة وذلك نظراً لكثرة ما نقل عنه في ذلك إلى جانب شهرته في التفسير، وللمنقبة التي منحها له الرسول - صلى الله عليه وسلم — حين سأله عن أعظم آية من كتاب الله، فقال: " قال رسول الله صلى الله عليه و سلم يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قال قلت الله ورسوله أعلم قال يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قال قلت

([8]) انظر أحمد بن تيمية (1414هـ) **مقدمة في أصول التفسير** (تح: محمد مطيع الحافظ، وغزوة بدير) بيروت: لبنان، دار ابن حزم، والقاهرة: مصر، دار الصحابة للتراث، ط1، ص78.

الله لا إله إلا هو الحي القيوم قال فضرب في صدري وقال والله ليهنك العلم أبا المنذر"[9]، أي ليكن العلم هنيئا لك.

ومن أشهر تلاميذه: زيد بن أسلم، وأبو العالية، ومحمد بن كعب القرظي، وهؤلاء منهم من أخذ عن أُبَيٍّ بن كعب مباشرة، ومنهم من أخذ عنه بالواسطة [10].

وتمتاز المدرسة الحجازية بالمنهج الذي يقوم على التمسك بظاهر النصوص مع شيء من التأويل والاعتماد على الكتاب والسنة والاحتكام إليهما عند وجود النص، وإلا فالاجتهاد، كما اتسم منهجها بالواقعية والتحليل والتقسيم [11].

ثانياً: مدرسة العراق.

وهي تمثل مدرستين هما مدرسة البصرة، و مدرسة الكوفة.

أ – مدرسة البصرة.

وقد تلقى رجال هذه المدرسة من مصدرين رئيسين هما:

المصدر الأول: من البصرة، وكان على يد أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – المصدر الثاني: عن طريق مدرسة الحجاز (مكة والمدينة) : حيث رحل إليها سيدنا أنس بن مالك –رضي الله عنه – والحسن البصري، وابن سيرين بعد أن كانوا في المدينة، كما يتم بواسطة رحيل طلاب العلم إلى مكة والمدينة ليأخذوا عن علمائها ثم يعودوا إلى موطنهم فينشروا ما تعلموه كما حدث مع الإمام جابر بن زيد، الذي أخذ عن ابن عباس وابن عمر، وفي كلا المصدرين مدرسة الحجاز هي صاحبة هذا الفضل على تلاميذ البصرة.

([9]) انظر مسلم (د.ت) صحيح مسلم (تح: محمد فؤاد عبد الباقي) بيروت: لبنان، دار إحياء التراث العربي، كتاب صلة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، رقم الحديث:810، ج1، ص556.

([10]) انظر الذهبيّ (2000) التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ج1، ص77.

([11]) انظر الذهبيّ (2000) المرجع نفسه، ج1، ص87، 88.

ب- مدرسة الكوفة.

قامت هذه المدرسة على يد الصحابيين الجليلين عبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهما – الذين أخذ عنهما التابعون من أهل العراق التفسير، فعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، يعدان الأستاذين الأولين والأساس لهذه المدرسة؛ وذلك نظراً لشهرتهما في التفسير، وكثرة المروي عنهما في ذلك [12].

ومن مزايا مدرسة العراق (البصرة و الكوفة) طريقتها في الإكثار من تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد، وذلك لتأثير عبد الله بن مسعود فيهم الذي يعتد بالرأي حيث لا نص.

كما أنّ رواية الحديث كان في العراق قليلاً، وكان أكثر رواة الحديث في الحجاز، بالإضافة إلى أن العراق بلد متمدن تأثر إلى درجة كبيرة بالمدنية الفارسية واليونانية [13].

واشتهرت تلك المدارس بمدى اعتمادها في التفسير على المأثور أو الرأي، فظهرت مدرسة التفسير بالمأثور، ومدرسة التفسير بالرأي.

أولا التفسير بالمأثور:

التفسير بالمأثور أو التفسير النقلي كما يورده البعض كلاهما بمعنى واحد، فهو يشمل التفسير الذي جاء في القرآن الكريم نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته؛ حيث ما أجمل في أية فسر في أخرى، أي تفسير القرآن بالقرآن، كما في قوله سبحانه وتعالى: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ}[سورة العنكبوت (29): 2]، والمعنى أنّ الناس لا يتركون دون فتنة: أي ابتلاء واختبار لأجل قولهم آمنا، فيختبروا ويمتحنوا حتى يتبين بذلك الابتلاء الصادق في قوله آمنا من غير الصادق.

([12]) انظر الزرقانيّ (1995) **مناهل العرفان في علوم القرآن**، مرجع سابق، ج2، ص14،15، 17.

([13]) انظر الذهبيّ (2000) مرجع سابق، جمحرّم، ص89.

فهو إنكار على من ظن أنه يدخل الجنة دون أن يبتلى بشدائد التكاليف التي يحصل بها الفرق بين الصابر المخلص في دينه وبين غيره، وهذا المعنى الذي دلت عليه الآية الكريمة جاء مبيّناً في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى: { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}[سورة البقرة (2): 214] وقوله: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ الله الذين جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ الله وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ المؤمنين وَلِيجَةً والله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}[سورة التوبة (9): 16] وقوله: {أَحَسِبَ الناس أَن يتركوا أَن يقولوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الذين مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ الله الذين صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذبين }[سورة العنكبوت (29):3] فهذه الآيات موضحات للآية السابقة[14].

وكذلك التفسير المأخوذ عن النبي – صلى الله عليه وسلم – فكم من الآيات جاءت مجملة فصلتها السنة، ومنها ما جاءت مطلقة فخصصتها السنة أو قيدتها، أي تفسير القرآن بالسنة لأنها مفصلة وموضحة وشارحة للقرآن، أخرج البخاري عن ابن مسعود – رضي الله عنه – أنّه قال: لما نزلت هذه الآية: { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}[سورة الأنعام (6): 82] شقَّ ذلك على الناس، فقالوا يا رسول الله، وأينا لايظلم نفسه؟ قال: "إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}[سورة لقمان (31): 13]؟ إنما هو الشرك "[15].

زد على ذلك التفسير الوارد عن الصحابة الذين عاصروا وقت نزول الوحي وشهدوا أسباب النـــزول، فكانوا أعلم المسلمين بتفسيره وتأويله، يجتهدون الرأي

([14]) انظر محمد الأمين الشنقيطي (1995) **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، بيروت: لبنان، دار الفكر، د.ط، ج1، ص209.

([15]) عبد القادر محمد صالح (2003) **التفسير والمفسرون في العصر الحديث**، بيروت: لبنان، دار المعرفة، ط1، ص 85،87.

لأجل تفهم آي القرآن في حالة عدم تيسره لهم نقلا عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – أو لم يجدوا في القرآن آية تفسر ما أبهم، أما ما ورد من النصوص القرآنية والتي تحتاج إلى اللغة العربية في تفهمها؛ فقد كان أمر يسير عليهم ذلك لأنهم "عرب خُلّص يعرفون كلام العرب ومناحيهم في القول، ويعرفون الألفاظ العربية في الشعر الجاهلي الذي هو ديوان العرب كما يقول عمر رضي الله عنه" [16]، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: { إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ }[سورة المرسلات (77): 32]: "كنا نرفع الخشب ثلاثة أذرع أو أقل فنرفعه للشتاء،فنسميه القصر"[17].

كما ألحق تفسير التابعين للقرآن بالمأثور باعتبارهم عايشوا أصحاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – وتتلمذوا وتلقوا غالب معلوماتهم عنهم [18]، فقد فتح الله سبحانه على هؤلاء من مناهل علمه، فكانت ملكة التفسير عندهم ربانية مستندة بقوة المنطق ورجاحة القول لنقلهم الصحيح الصائب لأنهم كانوا أكثر التزاماً ونقلاً لأقوال الصحابة، فقد كانوا مرجعاً لتفسير بعض ما خفي من كتاب الله، وقد كانوا منتشرين في الأمصار الإسلامية، فنشأت في مكة طبقة من المفسرين، وفي المدينة طبقة ثانية، وفي العراق ثالثة[19]، وقد كان جابر بن زيد والحسن البصريّ من أعلام هؤلاء التابعين في تفسير آي القرآن الكريم.

ومما دعا إلى ظهور هذا النوع من التفسير مجيء العصر الثاني الذي خضعت النقول المتعلقة بالأخبار التفسيرية للقواعد العامة للأحاديث النبوية من احتمال الاختلاف والخلط والمجازفة والوضع أو الثبات والإتقان والتحري والتصحيح، فظهرت قواعد النقد التي وضعت للأخبار بصفة عامة؛ لترتيب منازل المحدثين، وتعيين المتهمين

([16]) انظر عبد القادر (2003) المرجع نفسه، ج1، ص90.

([17]) انظر عبد القادر (2003) المرجع نفسه، ج1، ص90.

([18]) انظر عبد القادر (2003) المرجع نفسه، ص 90.

([19]) انظر محمد الذهبيّ (2000) مرجع سابق، ج[illegible]، ص77.

بالوضع والموسومين بالضعف، وطرحت الأحاديث الضعيفة والروايات المنكرة للصحيح المشهور الذي نقله الثقاة المعروفون بالصدق والأمانة.

ومن أهم كتب التفسير بالمأثور تفسير الإمام الطبريّ ومن سار سيره من بعده كالسمرقنديّ في بحر العلوم، والثعلبيّ في تفسيره الكشف والبيان، والبغويّ في معالم التنـــزيل، وابن كثير في تفسيره، والسيوطيّ في الدر المنثور [20].

وخلاصة القول أن المراد بالتفسير المأثور هو: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالحديث النبوي، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة، وتفسير القرآن بأقوال التابعين.

ثانياً: التفسير بالرأي

المقصود من التفسير بالرأي: التفسير القائم على الاجتهاد والنظر في إبراز المعاني الجلية والخفية التي يدل عليها النص بصريح العبارة أو بلطيف الإشارة، وهذا هو المعبر عنه بالتفسير المحمود الذي يعتمد في سبيل الوصول إلى إبراز تلك المعاني على قواعد التفسير وأصوله، وأدوات اللغة، وقواعد العربية نحوها وصرفها، وقواعد الأصول ومصطلحاته، والقواعد الفقهية ونزعات الاستنباط الفقهي، والحدود والمصطلحات المنطقية، والفهم الذي يقذفه الله سبحانه وتعالى في قلوب من يشاء من عباده الصالحين من خلال تدبرهم لآيات الكتاب العزيز.

أما إذا جنح المفسر إلى القول عن مجرد خاطر دون استناد إلى نظر في أدلة اللغة العربية ومقاصد الشريعة وتصاريفها وما لا بد منه من معرفة الناسخ والمنسوخ، فهذا لا محالة هو الرأي المذموم [21]، فهو تفسير القرآن بالاجتهاد، بعد اكتمال المفسر للأدوات التي يحتاج إليها في ذلك.

([20]) انظر الشيخ خالد عبد الرحمن العك (1986) **أصول التفسير وقواعده**، بيروت: لبنان، دار النفائس، ط 2، ص 55 .

([21]) محمد الطاهر ابن عاشور (1984) **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج1، ص30.

وقد اختلف في جوازه ، فطائفة تحرمه، وطائفة تجيزه ولكل أدلته ، وإن كانت أدلة المانعين أكثر ، وقد جزم ابن كثير تبعاً لابن تيمية بتحريم تفسير القرآن بمجرد الرأي [22].

وبين ابن عطية الأندلسيّ الرأي المذموم عند بيانه لمعنى قوله – صلى الله عليه وسلم – بأنّ الذي تكلم في القرآن برأيه قد أخطأ فقال: "ومعنى هذا أن يسأل الرجل عن معنى في كتاب الله، فيتسور عليه برأيه دون نظر فيما قال العلماء ، أو اقتضته قوانين العلوم كالنحو والأصول، وليس يدخل في هذا الحديث أنْ يفسر اللغويون لغته ، والنحاة نحوه، والفقهاء معانيه، ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر فإن القائل على هذه الصفة ليس قائلاً بمجرد رأيه" [23].

وقد انقسم هذا النوع من التفسير إلى نوعين: تفسير محمود، وآخر مذموم ، وهما يمثلان وجهتي النظر في التحليل والتحريم:

الأول: التفسير بالرأي المحمود والمراد به التفسير الموافق لكلام العرب مع موافقة الكتاب والسنة ، ومراعاة الشروط التي يجب توافرها للمفسر ومنها: علوم اللغة والنحو، والصرف والاشتقاق، والبلاغة والقراءات، والتوحيد والعقيدة، وأصول الفقه وأسباب النزول، والقصص، والناسخ والمنسوخ، والأحاديث المبينة للمجمل والمبهم وغير ذلك، وقد انتشرت هذه المدرسة وكثرت التفاسير المبنية عليها، من تفاسير لغوية وتفاسير فقهية ونحوها.

([22]) انظر الذهبيّ (2000) التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ج1، ص183.

([23]) عبد الحق بن غالب بن عطية (1993) **المحرر الوجيز** (تح: عبد السلام عبد الشافي) بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، ج1، ص41.

الثاني: التفسير بالرأي المذموم، وقد تولى كبرها طوائف متعددة من الفرق الضالة، التي حرفت كتاب الله وخرجت به عن مقاييس اللغة، فضلا عن تفسير السلف الصالح، بل عن العقل جملة في كثير من الأحيان [24]

وحَدّ الرأي المذموم: أن يكون قولاً بغير علمٍ وهو نوعان: علم فاسد ينشأ عنه الهوى، أو علم غير تام وينشأ عنه الجهل، ويكون منشؤه الجهل أو الهوى.

وورد النهي عن هذا النوع من التفسير في كتاب الله تعالى، وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم، كما ورد نهي السلف عنه.

أمّا من كتاب الله فقد قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ}[سورة الأعراف (7): 33]، وقال تعالى: {وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ}[سورة البقرة (2): 168، 169]، وقال سبحانه: {وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً }[سورة الإسراء (17): 36]في هذه الآيات نهي وتشنيع على القول على الله بغير علم؛ ففي الآية الأولى جعله من المحرّمات، وفي الآية الثانية جعله من اتباع خطوات الشيطان، وفي الثالثة جعله منهياً عنه، وفي هذا كلِّه دليلٌ على عدم جواز القول على الله بغير علم.

وأما السنة فإن من أصرح ما رواه عروة عن عبد الله بن عمرو أنّه سمع الرسول صلى الله عليه وسلم، يقول: "إنَّ الله لا يترعُ العلمَ بعد أنْ أعطاكُمُوهُ انتزَاعاً ولكن يَنْتَزِعُهُ مرهم مع قبضِ العلماءِ بعلمِهِمْ فيبقى ناسٌ جُهّالٌ يُستَفْتُونَ فيُفْتُونَ برأيهم

([24]) انظر ابن عبد البر (د.ت) **جامع بيان العلم وفضله** (تح: أبي شبال الزهيري) دار ابن الجوزي، ج1، ص1052،1054.

فيُضِلُونَ ويضِلُّونَ" رواه البخاري في كتاب الاعتصام، وترجم له بقوله: "بابُ ما يذكر من ذمِّ الرأي وتكلف القياس"[25].

وملم ورد عن السلف قول عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – والحسن البصري – رحمه الله – من نهيهما عن الرأي، فقال عمر: "اتقوا الرأي في دينكم"[26].

وقال: "إياكم وأصحاب الرأي؛ فإنهم أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا برأيهم، فضلّوا وأضلوا" [27]، وورد عن الحسن البصريّ قوله: "اتهموا أهواءكم ورأيكم على دين الله، وانتصحوا كتاب الله على أنفسكم ودينكم"[28].

وممن نُقِل عنه ذم الرأي أو القياس ابن مسعود من الصحابة، وابن سيرين من تابعي الكوفة، وعامر الشعبيّ من تابعي الكوفة، وغيرهم [29].

([25]) انظر أبو عبد الله البخاري (1422) **صحيح البخاري** (تح: محمد زهير الناصر) ،دار طوق النجاة، ط1، كتاب الاعتصام، بابُ ما يذكر من ذمِّ الرأي وتكلف القياس، رقم الحديث: 7307، ج9، ص100.

([26]) أحمد بن الحسين البيهقي (1404هـ) **المدخل إلى السنن الكبرى** (تح: محمد ضياء الرحمن الأعظمي) الكويت، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ص190، ص192، الأثر رقم 217.

([27]) البيهقي (1404هـ) المرجع نفسه، ص191.

([28]) البيهقي (1404هـ) المرجع نفسه، ص 196.

([29]) انظر ابن عبد البر (د.ت) جامع بيان العلم وفضله، مرجع سابق،ج1، ص1043، وما بعدها.

الفصل الأول

جابر بن زيد: حياته وآثاره.

المبحث الأول: عصر الإمام جابر بن زيد.

المبحث الثاني: حياته ونشأته العلمية.

المبحث الثالث: آثاره العلمية.

المبحث الرابع: إمامته للمذهب الإباضي.

المبحث الخامس: وفاته.

المبحث الأول: عصر الإمام جابر بن زيد.

للوقوف على نشأة الإمام جابر بن زيد، وإسهاماته في العلوم الإسلامية، يجدر بنا معرفة العصر الذي عاش فيه، ولو بشيء من الإيجاز حتى يتسنى لنا إدراك طبيعة تلك النشأة، ومدى تأثرها بمجريات الأحداث التي عاصرها [30].

فقد عاش في مرحلة تميزت بجملة من التطورات الكبرى التي شهدتها الأمة الإسلامية، أدت إلى توسعها السريع الذي نتج عنها نشوء مراكز جديدة استقرت فيها جماعات من الصحابة، وكانت مدينة البصرة أحد هذه المراكز الرئيسة إذ نشأت في أثناء خلافة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – كقاعدة عسكرية، ثم سرعان ما أصبحت إحدى العواصم الفكرية في الإسلام.

حيث تميزت بموقعها الجغرافي الذي جعلها بوابة العراق للتجارة؛ مما أدى إلى ظهور بوادر الترف، وذلك بفضل اتساع الفتوحات الإسلامية شرقاً، فاشتغل أهلها بالتجارة والزراعة، فامتدت تجارتهم إلى المحيط الهندي والصين، وبذلك تحولت البصرة إلى مدينة مترفة، تتمتع بالنعيم والرخاء، فسكن أهلها الدور، واقتنوا الأموال والعبيد والجواري، ومالوا إلى الدعة والترف، وكان من أثر ذلك أن يجد الناس من أوقاتهم ما يسمح لهم بطلب العلم، لاسيما أنّ العراق بشكل عام نشأ على أنقاض مدنيات قديمة لها علم مأثور، فكان طبيعياً أنْ ينهض به أهله بعد اعتناقهم الإسلام وتشجيعه لهم على العلم والتعلم، كما كان لما شهده العراق من الحروب والفتن بين المسلمين أنفسهم في عهد الأمويين، الأثر البالغ في الناس، حيث طرح العديد من التساؤلات عن المخطيء والمصيب منهم في تلك الأحداث، وكانت تُثار بكثرة حتى في الدروس والحلقات العلمية التي تقام في المساجد، فإذا كان العراق ميداناً لهذه الحروب فلا عجب أن

([30]) وهذا الأمر ينطبق أيضاً على الإمام الحسن البصري، فقد عاش هو في نفس العصر والبيئة التي عاش فيها جابر.

يكون أهله أكثر الناس جدالاً حولها، ومن الطبيعي أن يكون منبعاً للكثير من المذاهب الدينية والسياسية؛ لأنَّ كثيراً منها مبني على هذا الأساس [31].

وفي مدينة البصرة نشأت طبقة جديدة في المجتمع الإسلامي مؤلفة من تابعي الصحابة، وهم الجيل الثاني الذين ورثوا العلم وتطبيق الإسلام عن الصحابة مباشرة، ثم نقلوه إلى طلابهم.

ولما كان جابرٌ تابعياً بارزاً، فإن إسهامه للأمة الإسلامية النامية يمكن إدراكه في إطار الدور الذي لعبته طبقة التابعين، وبما أنه كان طالباً وثيق الصلة بابن عباس – رضي الله عنهم – الذي أسهم في معظم النشاطات السياسية للأمة الإسلامية منذ شبابه، فقد تمكن جابر من أن يتعرف إلى المواقف المتناقضة في النشاطات السياسية التي بدأت مع النزاع الأهلي في خلافة عثمان، وانتهت بانتصار معاوية[32].

وبعيشه في البصرة، إحدى أهم مراكز النشاطات السياسية، وبمعاصرته لأحداث تلك المرحلة المفعمة بالحيوية (28 هـ، 684م - 93هـ ،701م) استطاع جابر أنْ يُكوِّن فهماً واضحاً للسير المعقد للشؤون الدينية والسياسية في الأمة الإسلامية النامية، ونتيجة لذلك اختار السبيل الأمثل لتحقيق أهدافه، إذ بقي بعيداً عن جميع النشاطات السياسية، ونهج نهجاً يتسم بالحذر الشديد في علاقاته برجال الحكم الأمويين.

فقد تأثرت حياة جابر بالوضع الذي كانت تعيشه مدينة البصرة من ازدهار ورخاء، فضلاً عن الثروة العلمية والأدبية التي تميزت به العراق بشكل عام في هذه المرحلة، ومن هنا نخلص إلى أنّ جابراً نشأ في جو يعج بالعلماء وطلاب العلم؛ لأن وجود عدد من الصحابة في البصرة جعلها قبلة لطلاب الفقه والحديث والتفسير ومستقطبة لهم.

([31]) انظر يحي محمد بكوش (1986) **فقه الإمام جابر بن زيد**، بيروت: لبنان، دار الغرب الإسلاميّ، ط1، ص12،13.

([32]) انظر عمرو خليفة النامي (2001) **دراسات عن الإباضية** (ترجمة مراجعه ميخائيل خوري د. ماهر جرار) بيروت: لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط1، ص77.

المبحث الثاني: حياته ونشأته العلمية.

يذكر الإمام نور الدين الساليّ أنّ جابرَ بن زيد ولد في (فرق) في عمان، ثم قدم إلى البصرة طلباً للعلم [33]، إلا أنّ الدكتور عمرو النامي ينفي هذا الرأي بناءً على أنّ جابراً، لو كان جاء إلى البصرة لمجرد طلب العلم، لكان عاد إلى عمان بعد ذلك إلى عائلته، إلا أنّه عاش في البصرة طوال حياته [34]، ويذكر لمولد جابر تاريخين: 18 هـ/ 639 م، وهناك مصادر أخرى تذكر لنا تاريخاً آخر ممكن تحديده بين عامي 18- و22 هـ [35]، ولعل وجود بعض الروايات للإمام جابر تدلنا على انتسابه إلى بيت علم أو ربما كان أبوه صحابياً ووجدت هذه الرواية عن أبيه في كتاب الأحكام [36] لأبي بكر الجصاص [37].

وينتسب أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزديّ الجوفيّ إلى بني عمرو بن اليحمد، أحد فروع قبيلة الأزد؛ وهو من قرية (فرق) بين منح ونزوى في عمان [38]، حيث يرجح أنه ولد، ثم انتقل وعائلته للاستقرار في درب الجوف بالبصرة، وهو المكان الذي أخذ اسمه من المنطقة التي كانت قبيلة جابر تقطنها في عمان [39]، وقد ذكر ياقوت

([33]) السالمي (1347) مرجع سابق، ص55، 57.

([34]) انظر النامي (2001) مرجع سابق، ص81.

([35]) انظر النامي (2001) المرجع نفسه، ص81.

([36])وانظر بكوش (1986) مرجع سابق، ص11.

([37]) أحمد بن علي الرازيّ، أبو بكر الجصاص (305 – 370 هـ): فقيه مجتهد، ورد بغداد في شبيبته، ودرس، وجمع، وتخرج به المتفقهة، من أهل الري، سكن بغداد ومات فيها. انتهت إليه رئاسة الحنفية. وخوطب في أن يلي القضاء فامتنع. من تصانيفه: شرح الجامع الكبير لمحمد بن الحسن الشيبانيّ، شرح مختصر الطحاويّ في فروع الفقه الحنفي، أحكام القرآن، كتاب في أصول الفقه، وشرح كتاب الخصاف في أدب القاضي على مذهب أبي حنيفة. خير الدين الزركليّ (1980) **الأعلام**، بيروت:لبنان، دار العلم للملايين، ط 5، ج1، ص171.

([38]) انظر ماكدونالد (1956) **تطور الفقه الإسلامي والشرع والنظرية الدستورية** بيروت: لبنان (د، ط)، ص24 .

([39]) انظر ابن حبان (1959)، **مشاهير علماء الأمصار** (تح: فلايشهامر) القاهرة: مصر، (د، ط) ص89.

الحمويّ موقعاً في عمان كان يستوطنه جابر انتقل منه بنو الأزد إلى البصرة معروفاً بجوف الحميلة [40]، فمن المحتمل أنّ عائلة جابر جاءت إلى البصرة مع الجيش الذي جهزه عثمان بن أبي العاص لمحاربة الفرس؛ وقد ضم هذا الجيش عدداً كبيراً من الأزد فبيت جابر كان بيت فروسية ونجدة.

وبناء على ما ذكره السالميّ، فإنّ الجيش بعد أنْ هزم الفرس وقتل قائدهم شاه رك أو ابن الحمراء، توجه نحو فارس واستقر في (تواج)، ثم انتقل إلى البصرة في أثناء حكم عبد الله بن عامر، حاكم البصرة من قبل عثمان بن عفان، ويقال إنّ الرجل الذي قتل القائد الفارسيّ هو جابر بن حديد اليحمديّ [41]، من عائلة جابر بن زيد نفسها مما يشير إلى أنّ أفراد عائلة جابر بن زيد كانوا في عداد ذلك الجيش، ثم استقروا في البصرة في خلافة عثمان.

وجابر بن زيد عاش وترعرع فيها، خصوصاً أنّه اختار كنف الصحابي الجليل عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – ليصحبه أعواماً طويلة بالإضافة إلى علاقته بالصحابة الآخرين من أمثال عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – لينهل من معينهم، ويفرّغ كل ذلك في أتباعه وتلاميذه من أمثال أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة[42]، وأبي

([40]) انظر ياقوت الحمويّ (1906) **معجم البلدان**، القاهرة: مصر (د، ط) ج3، ص175.

([41]) نور الدين السالميّ (1347) **تحفة الأعيان**، القاهرة: مصر، ط 2، ص55، 57.

([42]) أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، التميمي بالولاء، البصري (145هـ – 762م): فقيه مجتهد، وكبير تلامذة جابر، وممن حسنت أخباره، تعلم العلوم وعلمها، ورتب الأحاديث وأحكمها. أخذ المذهب عن جابر بن زيد، ثم صار مرجعا فيه تشد إليه الرحال. فهو يعد الإمام الثاني للإباضية، وكان أعور. ويقال له القفاف، كان عالما مع الزهد في الدنيا والتواضع مع نيل الدرجات العليا، والاعتراف بضيق الباع على ما عليه من الاتساع . أحمد بن سعيد الدرجينيّ (د.ت) **طبقات المشايخ بالمغرب**، ج2،ص30، و الزركليّ (1980) مرجع سابق، ج1،ص223.

نوح صالح الدهان[43] وغيرهم، أما بالنسبة لكنيته بأبي الشعثاء فهو اسم لابنته، وقيل إن قبرها لا يزال موجوداً ومعروفاً إلى الآن في بلدة فرق، أخذ جابر العلم عن عبد الله بن عباس، وعائشة، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر – رضي الله عنهم – وغيرهم من الصحابة، قال جابر: " أدركت سبعين من أهل بدر من أصحاب النبي — صلى الله عليه وسلم – فحويت ما عندهم إلا البحر، يعني ابن عباس – رضي الله عنهما – وليس ابن عباس من أهل بدر فالاستثناء منقطع" [44].

وإذا استطاع هذا الإمام بما أوتي من جهد وذكاء وصبر أن يجمع علم سبعين بدرياً، فهذا يدل على سعة إطلاعه وقربه من منابع الوحي، واتباعه للسنة، وابتعاده عن البدعة، وفهمه العميق لأسرار الشريعة ومقاصدها.

وقد حفظت لنا كتب الحديث والتفسير عدداً كبيراً من الصحابة الذين روى عنهم إما مباشرة، وإما عن طريق الإرسال، فكان أكثر روايته في مسند الربيع بن حبيب [45] وغيره، عن ابن عباس، وعائشة أم المؤمنين، ، وابن عمر، وأبي هريرة، وأنس بن مالك، وأبي سعيد الخدري، معاوية بن أبي سفيان، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وجابر بن عبد الله ، وزيد بن ثابت، وأسماء بنت أبي بكر،

([43]) أبو نوح صالح الدهان –رحمه الله– هو كما يصفه الدرجيني: شيخ التحقيق وأستاذ أهل الطريق، وناهج طرق الصالحين وناقض دعاوى الزائغين الجانحين ، أخذ عنه الحديث والفروع وكان ذا خشية لله وخضوع. انظر الدرجيني (د.ت) مرجع سابق، ج2، ص44.

([44]) سالم بن حمد الحارثي (1983) **العقود الفضية في أصول الإباضية** ، سلطنة عُمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ص256.

([45]) الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيديّ: عالم بالحديث، إباضي. من أعيان المائة الثانية للهجرة. من أهل البصرة. أدرك جابر بن زيد في أواخر أيامه، وهو شاب ، روى عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ضمام بن السائب، وأبي نوح صالح الدهان، وغيرهم، وهو المراد عند الإطلاق في الأثر الشرقي بالشيخ، وقد ملأ الفقه العماني بفتاويه، توفي سنة 178، له كتاب في الحديث يعرف بمسند الربيع، سماه الو رجلاني الجامع الصحيح مع حاشية عليه لعبد الله بن حميد السالميّ. انظر الزركلي (1980) مرجع سابق، ج3، ص14، انظر بكوش (1986) مرجع سابق، ص50.

وسعد بن أبي وقاص، وحذيفة بن اليمان، ومعاذ بن جبل، والحكم بن عمرو الغفاري[46]، ومروان بن الحكم[47]، وروى مرسلاً عن خلق كبير من الصحابة منهم أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعبادة بن الصامت، وأبو أيوب الأنصاريّ، وأبو موسى الأشعريّ، وغيرهم [48].

وحسبك أنْ تعلم أنَّه رحمه الله أعلم من أنْ يبقي من كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – حتى في سلوكه الخاص شئ لا يعرفه، كان كثير السؤال لسيدتنا عائشة – رضي الله عنها – في كل كبير وصغير وقليل وقطمير، وكفى بها أنها الحميراء زوج الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

وقد عاش جابر بن زيد في البصرة كما عاش أكثر أقرانه من كبار التابعين، ينشر العلم في المساجد والمجامع، ويبث الخلق الحميد بين الناس، ويدعو إلى التمسك المتين بالدين القويم، والمحافظة على أصوله وفروعه، ويفتي في المشاكل التي تعرض للناس في أمور دينيهم ودنياهم، حتى قال إياس بن معاوية [49]: "أدركت البصرة وما

([46]) الحكم بن عمرو الغفاري الأمير، أخو رافع بن عمرو، وهما، من بني وثعيلة ، وثعيلة أخو غفار. نزل الحكم البصرة. وله صحبة ورواية، وفضل وصلاح، ورأي وإقدام.حدث عنه: أبو الشعثاء جابر بن زيد، والحسن البصري ومحمد بن سيرين، وسوادة بن عاصم ; وآخرون . محمد بن أحمد الذهبيّ (1993) سير أعلام النبلاء، بيروت: لبنان، مؤسسة الرسالة، ط 9، ج2، ص474.

([47]) انظر البكوش (1986) مرجع سابق، ص42.

– وانظر الحارثيّ (1983) مرجع سابق، ص 256.

([48]) انظر البكوش (1986) مرجع سابق، ص42.

([49]) إياس بن معاوية بن قرة المزنيّ، أبو واثلة (122هـ – 740م): قاضي البصرة، وأحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء.يضرب المثل بذكائه وكان رأسا لأهل الفصاحة والرجاحة. كان صادقا الظن لطيفاً في الأمور، قيل له: ما فيك عيب غير أنك معجب! فقال: أيعجبكم ما أقول قالوا: نعم، قال: فأنا أحق أن أعجب به. انظر أحمد بن محمد بن خلكان (1900) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** (تح: إحسان عباس) بيروت: لبنان، دار صادر، د.ط، ج1، ص247، والزركليّ (1980) مرجع سابق، ج2، ص33.

لهم مفت يفتيهم غير جابر بن زيد" [50]،و قد أخبر سليمان بن حرب عنه فقال: حدثنا حماد بن زيد قال: ذكر أيوب يوماً جابر بن زيد فعجب من فقهه، قال: أخبرنا سليمان بن حرب وعارم بن الفضل قال: حدثنا حماد بن زيد قال: سئل أيوب هل رأيت جابر بن زيد؟ قال: نعم، كان لبيباً لبيباً لبيباً [51].

وقال ترجمان القرآن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما : "عجباً لأهل العراق، كيف يحتاجون إلينا، وفيهم جابر بن زيد" [52]، وقال أيضاً " لو نزل أهل البصرة عند قول جابر لأوسعهم عمًّا في كتاب الله علماً" [53]، وقال عمرو بن دينار: " ما رأيت أحداً أعلم بالفتيا من جابر بن زيد" [54]، يروى أنه قال سألت ربي ثلاثاً : امرأة مؤمنة وراحلة صالحة ورزقا كفافا فأعطانيهن، وقال يوما لأصحابه: ليس منكم أغنى مني ليس عندي درهم ولا علي دين [55]، وقد قال في حقه ابن سيرين: كان أبو الشعثاء مسلماً في الدينار والدرهم [56].

كان رحمه الله لا يكافئ الإساة بمثلها فقد خرجت آمنة زوجه إلى مكة ذات سنة، فأقام جابر تلك السنة قال: فلما رجعت سألها عن كريها فذكرت منه سوء الصحبة، و لم تثن عليه بخير، قال: فخرج إليه جابر فأدخله الدار، فأمر باشتراء لإبله علفاً، وعولج له طعام فلما تغذى خرج به إلى السوق، فاشترى له ثوبين فكساهما إياه، ودفع إليه ما كان مع آمنة من قربة وأداة وغير ذلك من آلات السفر، قال فقالت له

([50]) محمد بن سعد (1968) **الطبقات الكبرى** (تح: إحسان عباس) بيروت: لبنان، دار صادر، ط1، ج7، ص180.

([51]) انظر ابن سعد (1968) **الطبقات الكبرى**، المرجع نفسه، ج7 ، ص180.

([52]) انظر الدرجيني (د.ت) مرجع سابق، ج2، ص219.

([53]) ابن سعد (1968) مرجع سابق، ج7، ص 180،179.

([54]) انظر أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (د.ت) **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** ، بيروت: لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج3، ص206.

([55]) انظر الدرجيني (د.ت) مرجع سابق، ج2، ص14،13.

([56]) انظر ابن سعد (1968) **الطبقات الكبرى**، مرجع سابق، ج7 ، ص181.

آمنة أخبرتك بسوء الصحبة ففعلت معه ما أرى، قال: أفنكافيه بمثل فعله فنكون مثله؟ لا بل نكافيه بسوء خيراً، وبالإساءة إحساناً [57].

ولما توفي جابر قال أنس بن مالك: "اليوم مات أعلم من على ظهر الأرض" [58]، وكفى بها شهادة، ولما دفن جابر بن زيد قال قتادة: اليوم دفن علم الأرض [59].

اشتهر عن جابر أنه لا يماكس في ثلاث: في الكراء إلى مكة، وفي عبد يشتري ليعتق، وفي شاة الأضحية، وكان: لا يماكس في شئ يتقرب به إلى الله تعالى [60].

امتلأ قلبه بالإيمان بالله، وفاض على لسانه دعوة مخلصة إلى دين الله، وعلى جوارحه عملاً صالحاً بما يرضي الله.

كان جابر أذكي من أنْ تنطلي عليه زخرفة بدعة ظاهرة أو خفية، وأخشى لله من أنْ يري منكراً ويسكت عنه، وأحرص على محاسبة نفسه، وحملها على ما تكره النفس البشرية إذا كان في ذلك قربة إلى الله عزَّ وجلّ، وأشجع من أن يؤيد عمل الظالمين، وأحرص على أداء رسالة الإسلام من أن يكلّ من التعليم في كل مكان، فقد كانت أخلاقه أخلاق العلماء الذين يتقيدون بالأثر ويتبعون السلف [61].

وقد اختلط على كثير من أصحاب السير والتراجم نسبة أبي الشعثاء؛ وذلك نظراً لأنّ عدداً من رواة الحديث يحملون هذه الكنية، وهم:

1- بشير بن نهيك السدوسيّ أو السلوليّ البصريّ أبو الشعثاء، روى عن أبي هريرة، وبشير بن الخصاصية، روى عنه النضر بن أنس، ويحي بن سعيد الأنصاريّ.

2- حويص أبو الشعثاء، ذكره الشماخيّ في السير و لم ينسبه.

([57]) انظر الدرجينيّ (د.ت) مرجع سابق، ج2،ص10،11.

([58]) انظر الدرجينيّ (د.ت) المرجع نفسه، ج2، ص219.

([59]) انظر أبي نعيم (د.ت) مرجع سابق، ج3، ص207.

([60]) انظر أبي نعيم (د.ت) المرجع نفسه، ج3، ص208.

([61]) انظر أبي نعيم (د.ت) المرجع نفسه، ج3، ص205.

- وانظر البكوش (1986) مرجع سابق، ص21.

3- زيد أبو الشعثاء العنتريّ، وقيل زيد أبو الحكم ،يروي عن البراء بن عازب، روى عنه أبو بلج.

4- سليم بن الأسود المحاربيّ: أبو الشعثاء الكوفيّ المحاربيّ روي عن عدد من الصحابة منهم أبي هريرة، وابن عمرو، وابن عباس وعائشة - رضي الله عنهم - وغيرهم ما يزيد عن إحدى عشر.

5- علي بن الحسن بن سليمان الحضرميّ، أبو الشعثاء، الو اسطيّ الكوفيّ، روى عن خالد بن نافع، وحفص بن غيات، وأبي معاوية الضرير وغيرهم.

6- عمر أبو الشعثاء، مولى بني معمر، بصريّ، سمع من ابن عباس - رضي الله عنه - يستعفي من فتواه في الصرف، روى عنه أبو غفار المثنى بن سعد.

7- قيس أبو الشعثاء، مولى بني معمر، بصريّ، روى عن ابن عباس، وروى عنه أبو غفار عن ابن تيمية.

8- قيس أبو الشعثاء، روى عنه صالح السلميّ.

9- وابصة بن معبد بن عقبة بن الحارث، أبو الشعثاء. ويقال أبو سعيد الأسديّ، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن ابن مسعود رضي الله عنه.

10- يزيد بن أبي زياد الكنديّ أبو الشعثاء.

11- يزيد بن مهاصر، أبو الشعثاء، الكنديّ الكوفيّ، روى عنه أبو إسحاق الهمدانيّ، ويونس بن أبي إسحاق [62].

([62]) انظر البكوش (1986) المرجع نفسه، ص 18، 19.

المبحث الثالث: آثاره العلمية.

أدى تطور الأمة الإسلامية واتساع رقعتها إلى نشأة مراكز وأمصار جديدة استقرت فيها جماعات من الصحابة، كانت مدينة البصرة أحد هذه المراكز الرئيسة، إذ كانت في أثناء خلافة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – عبارة عن معسكر وتجمع حربي للجيوش الإسلامية، ثم سرعان ما أصبحت إحدى العواصم الفكرية والأمصار المهمة في الإسلام. وفيها نشأ جابر والتقى بعدد كبير من الصحابة الذين كانوا تواقين لتعليم الناس دين الإسلام.

ومن هنا نشأت طبقة جديدة في المجتمع الإسلامي مؤلفة من تابعي الصحابة، وهم الجيل الثاني الذين أخذوا عن الصحابة – رضي الله عنهم – فأصبحوا بذلك مهيأين لأنْ يكونوا دعاة للدين، وحملة للوائه، فعلموا الناس القرآن وأحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – وقدموا لهم مثلاً حقيقياً للمسلمين، وقدوة ونبراساً من خلال حياتهم العملية .

وكان جابر بن زيد من أوائل التابعين في البصرة الذين كرسوا حياتهم لهذه المهمة، وقد اعتاد الكثير من طلابه أن يسجلوا آراءه الشرعية رغم أنه لم يكن يؤيد ذلك، حيث نقل أبو يعقوب البسويّ أنَّ جابراً أُخْبر بأنّهم يكتبون عنه آراءه، فقال جابر:"إنا لله، يكتبون عني رأياً أرجع عنه غداً" [63].

وقد حلل أحمد درويش هذه العبارة " إنهم يكتبون عنك" مستخلصاً منها بعض النقاط التي تدل على عدم تعميم مفهوم هذه الرواية، فالمتبادر إلى الذهن أنّ الذي يكتب لم يفعل ذلك في حضرته، وعند سماع الرأي منه، وإلا لكان جابر قد رآه وأبدى رأيه موافقة أو مخالفة فيما يفعل، فالظن إذن أنّ الكتابة، كانت بعد انتهاء

([63]) أبي يوسف يعقوب البسوي (د.ت) **المعرفة والتاريخ** (تح: أكرم ضياء العمري) مؤسسة الرسالة، ج2، ص199.

الدرس، أو عندما يبلغه رأي معين منسوب إلى جابر، فيقرر كتابته، وهذه الكتابة غير موثوقة؛ لأنها لم تأخذ المعلومة من مصدرها الأصلي.

كما أن الذي أخبر جابراً بأنهم يكتبون عنه لم يخصص صفة من يكتب، إنْ كان من تلاميذه النجباء أو من عامة من تبلغهم الأنباء، وقد سبق أن أشرنا إلى مدى تحوط جابر وحرصه على تبليغ العلم وأن يحمله أهله، فلو كانت الرواية التي نقلت لجابر بتحديد الراوي أو الكاتب لاختلفت الإجابة، أو لو أنه رآه لكان له إرشاد آخر.

هذا فضلاً عن ذلك أنّ الرأي الذي يكتبونه أو يرونه عنه هو رأي اجتهاد، وإعمالٍ للعقل وطبيعة الرأي أنْ يمر بمراحل من الافتراض والبحث والمناقضة والاستدلال قبل أنْ يُدوّن، وربما يتعرض في بعض هذه المراحل للتغيير، ومن ثَمّ فالعالم وحده الذي يملك تحديد الوقت المناسب لتدوينه بنفسه أو بموافقته على تدوينه ممن يثق بعلمه، ومن خلال ما تقدم ينبغي أن لا نعمم مفهوم هذه الرواية ونبني عليها رأي جابر في الكتابة والتدوين [64].

ويمكن تحديد كيفية وصول علمه إلينا عبر قناتين:

الأولى: والأساسية مبنية على ما دونه طلابه الإباضية أمثال: ضمام بن السائب [65]، وأبي عبيدة مسلم بن كريمة، وأبي نوح صالح الدهان، وحيان الأعرج [66] وغيرهم.

([64]) انظر أحمد درويش (1991) **جابر بن زيد حياة من أجل العلم** ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ص102،103.

([65]) ضمام بن السائب: البصري العنبري العماني، أحد أئمة الإباضية بالبصرة، أخذ العلم عن جابر بن زيد، وهو من طبقة أبي عبيدة وأحد شيوخه، روى عنه الربيع بن حبيب، وقد جمع أبو صفرة رواياته عن جابر في كتاب سماه (روايات ضمام) كان ذا رفق وتلطف واجتهاد وتقشف، وصفه الدرجيني: بكهف اليتامى والأرامل، المفزوع إليه في النوازل، أوصى عليه أبو عبيدة في الفتاوى والمعضلات. انظر الدرجيني (د.ت) مرجع سابق، ج،ص ، وانظر البكوش (1986) مرجع سابق، ص52.

([66]) حيان الأعرج الجوفي البصري: من أكبر أصحاب جابر بن زيد وأخذ عنه. كان داعياً إلى الله، آمراً بالمعروف، وناهياً عن المنكر، كان ينكر عليه تشدده في الدين، وهو معدود في جملة علماء الإباضية المجتهدين، روى عن جابر بن زيد، وروى عنه قتادة وسعيد بن أبي عروبة وابن جريج ومنصور بن زاذان. وحكي عن ابن معين انه ثقة قال المزي فان كان هو هذا فان روايته عن

الثانية: قائمة على ما دوّنه طلابه غير الإباضية منهم: عمرو بن دينار [67]، وعمرو بن هرم[68]، وقتادة بن دعامة السدوسيّ [69]، وآخرون ..

وأهم الأعمال التي دونت فيها فتاوى جابر وروايته هي:

1- روايات ضمام.

2- مسند الربيع بن حبيب.

3- جوا بات جابر: وفيها بعض فتاويه مرسلة إلى بعض أصدقائه وأتباعه.

وهذه كلها من مدونات الإباضية.

على أن هناك أعمال أخرى أهمها:

1- كتاب النكاح: وهو يضم أحكاماً بخصوص الزواج نقلاً عن جابر.

العلاء بن الحضرمي منقطعة، وذكره في اتباع التابعين. انظر ابن حجر العسقلاني (1984) **تهذيب التهذيب**، بيروت: لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج3، ص60. وانظر البكوش (1986) مرجع سابق، ص48.

([67]) عمرو بن دينار: الإمام الكبير الحافظ أبو محمد الأشرم الجمحيّ مولاهم المكيّ، أحد الأعلام وشيخ الحرم في زمانه،ولد في إمرة معاوية سنة خمس أو ست وأربعين، كان ثقة ثبتاً عالماً صدوقاً، وكان مفتي أهل مكة في زمانه، سمع من ابن عباس، وجابر بن عبد الله، وابن عمر، وأنس بن مالك، وعبد الله بن جعفر، وأبي الطفيل وغيرهم من الصحابة، وروى عن جابر بن زيد رواية تابعيّ عن تابعيّ،وعن ابن جبير، وطاوو س، وعكرمة، وعطاء وغيرهم. انظر الذهبيّ (1993) سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج5، ص301.

([68]) عمرو بن هرم الازدي البصري: وليس بابن هرم بن حيان صاحب أويس ذاك عبدي وهذا أزدي. روى عن أبي الشعثاء، وابن جبير، وعكرمة، وربعي بن حراش، وعبد الحميد بن محمود، وأبي عبد الله المدائنيّ، روى عنه حبيب بن أبي حبيب الجرمي، وجعفر بن أبي وحشية، وسالم المراديّ، وواصل مولى أبي عيينة. قال أحمد، وابن معين، وأبو حاتم، وأبو داود ثقة، وقال النسائيّ ليس به بأس، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال صلى عليه قتادة بعدما دفن، وقد علق عليه البخاريّ موضعا واحدا في الطلاق قبل النكاح، ولم يذكره المزيّ، وكذا روى البخاري في تاريخه بعد أن سمى جده حيان، وتبعه ابن أبي حاتم، وابن أبي خيثمة، وابن حبان وغيرهم، وقال العجليّ عمرو بن هرم ثقة لا بأس به. انظر ابن حجر العسقلانيّ(1984) تهذيب التهذيب، مرجع سابق، ج8، ص99.

([69]) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسيّ (**61 – 118 هـ**) من أهل البصرة . ولد ضريراً . أحد المفسرين والحفاظ للحديث. كان من أوعية العلم، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ. وكان مع عمله بالحديث رأسا في العربية، ومفردات اللغة وأيام العرب، والنسب، كان يرى القدر، وقد يدلس في الحديث، ومع هذا فما توقف أحد في صدقه، وعدالته، وحفظه، وهو حجة بالإجماع إذا بين السماع، مات بواسط في الطاعون . انظر الذهبيّ (1993) **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج5، ص270، 271.

2- كتاب الصلاة: رواه حبيب بن أبي حبيب الحرمي عن عمرو بن هرم عن جابر بن زيد.

3- روايتان عن عمرو بن دينار، وعمرو بن هرم، موجودتان في القسمين الخامس والسادس من كتاب (أقوال قتادة) وفيهما أحاديث وفتاوى تتناول بالدرجة الأولىمواضيع الزواج [70]، ومن المهم أنْ نذكر أنّه تتمثل أقدم المصادر في آثار الإمام جابر بن زيد (كتاب جابر بن زيد)وهو عبارة عن روايات عمرو بن هرم عن جابر كما سلف، فتاوى تتعلق بمجال العبادات والطهارات والصلاة والصوم والاعتكاف، دون المعاملات.

وقد جمع الشيخ سعيد بن خلف الخروصيّ كتاب جابر هذا، وأضاف إليها فتاوى في المعاملات وغيرها، رواها أبو صفرة عبد الملك بن صفرة عن جابر، ورتبهما في مجموع واحد ثم ألحق بهما كتاباً آخر لجابر أيضاً في باب النكاح، ويعرف الكتاب الأول بـــ(آثار الربيع بن حبيب)، والثاني بـــ(كتاب جابر بن زيد)، أما الثالث فيدعي كتاب (النكاح لجابر بن زيد)، وطبع هذا المجموع بعنوان (من جوابا ت الإمام جابر بن زيد) سنة 1404هـــ/ 1984م برعاية وزارة التراث العمانية.

ومن مصادر آراء جابر رسائله إلى بعض تلاميذه وأصحابه، وتبلغ سبع عشرة رسالة تناول فيها قضايا أغلبها في المعاملات، يتصدرها الوعظ والنصح بالتقوى ولزوم أمر الله واتباع شرعه.

وجمع الأستاذ يحي البكوش آراء جابر المثناترة في مختلف مصادر التراث الإسلامي للإباضية وغيرهم، وأصدرها في كتاب سماه: (فقه الإمام جابر بن زيد)، وترك لنا الربيع بن حبيب تلميذ أبي عبيدة مسنداً في الحديث، ثلاثي السند، حلقاته:

([70]) النامي (2001) **دراسات عن الإباضية**، مرجع سابق، ص79.

الربيع، أبو عبيدة، جابر، ثم الصحابة عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – ويعدُّ المسند المصدر الأول لدى الإباضية بعد القرآن، ثم تليه سائر الصحاح [71].

وكل المصادر التي بين أيدينا تؤكد أنَّه ترك ديواناً ضخماً تعرَّضَ فيه لمسائل الفقه والأحكام، كذلك الأحاديث النبوية، وبعض الآراء في التفسير، وأنَّ هذا الديوان لم يصل إلينا، ولعل نوائب الدهر أتت عليه في ظروف لم نطلع بعد عليها [72].

ولكن الشيء المؤكد، أنَّ له رسائل متفرقة موجودة اليوم في خزائن الكتب، فمنها ما هو في وزارة التراث القومي بعمان مسقط، ومنها ما هو في المملكة المتحدة في بريطانيا، وفي المكتبة الباروني ة في جربة، ولعلها جزء أو بعض أجزاء هذا الديوان العظيم الذي أشار إليه (حاجي خليفة) في كتابه كشف الظنون بدون أن يذكر عنه أية تفصيلات، ولعل فتاويه المتداولة في بطون الكتب أثر من آثار ذلك الديوان العظيم [73]، ويقال أنّ كتب جابر بن زيد كانت في حوزة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ثم انتقلت إلي الربيع بن حبيب، فإلى أبي سفيان محبوب بن الرحيل، ثم ابنه محمد بن محبوب، وعنه نسخت في مكة [74].

ويقول بعض المؤرخين الإباضيين: إنَّ جابراً نفسه جمع كتاباً كبيراً من الأحاديث والفتاوى يعرف بديوان جابر بن زيد، وإنّ نسخة من الديوا ن كانت موجودة في مكتبة الخليفة العباس ي هارون الرشيد، ويقال أنَّ العالم الإباضي في جبل نفوسة، نفاث فرج بن نصر [75] تمكن من نسخ الديوان وجاء به إلى الجبل، لكن نفاثاً

([71]) انظر مصطفي صالح باجو (2005) **منهج الاج تهاد عند الإباضية** ، مسقط : عمان، مكتبة الجيل الواعد، ط 1، ص29،31.

([72]) انظر درويش (1991) مرجع سابق، ص 104، 105.

([73]) انظر البكوش (1986) مرجع سابق، ص75.

([74]) انظر النامي (2001) مرجع سابق، ص 79.

([75]) نفاث فرج بن نصر، لم أعثر له على ترجمة.

وهو المعارض لحاكم الجبل ولإمامته الروستمية، أتلف نسخة الديوا ن كي لا يتمكن خصومه "أهل الدعوة" من الحصول عليها[76].

وعلى أي حال فإنَّ الفقه الإباضي قام بالدرجة الأولى على أساس الأحاديث والفتاوى التي رواها جابر لطلابه الإباضيين، قال أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة: "كل صاحب حديث ليس له إمام في الفقه فهو ضال؛ولولا أن الله تعالى منَّ علينا بجابر بن زيد لضللنا"[77].

المبحث الرابع: إمامته للمذهب الإباضي:

يعدُّ جابر بن زيد تابعياً بارزاً وإسهاماته للأمة يمكن إدراكها في إطار الدور الذي لعبته طبقة التابعين الذين تلقوا العلم عن الصحابة مباشرة، فقد كان أحد علماء البصرة البارزين قضى حياته يصدر الفتاوى، ويدرِّس أحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – وينقل علمه الواسع إلى طلبته؛ مما أهَّله ليكون مسئولاً فعليّاً عن تأسيس مدرسة للفقه الإباضي [78]، فهو المحدِّث والفقيه والمفسر بسبب معرفته الواسعة

([76]) انظر النامي(2001) المرجع نفسه، ص 80.

([77]) النامي(2001) المرجع نفسه، ص 97.

([78]) يرجع المذهب الإباضي في نشأته وتأسيسه إلى عصر التابعين؛ فمؤسسه الذي أرسى قواعد الفقه والأصول فيه هو التابعي الشهير جابر بن زيد الأزديّ، من أخص تلاميذ ابن عباس، وممن روى الحديث عن أُمِّ المؤمنين عائشة وعدد كبير من الصحابة ممن شهد بدرًا، كان إماماً في الفقه، والتفسير والحديث، كان ذا مذهب خاص به في الفقه، و لم ينسب إليه المذهب وإنما نسب إلى عبد الله بن إباض وهو تابعيّ أيضاً عاصر معاوية بن أبي سفيان، وتوفي في أواخر أيام عبد الملك بن مروان، فهي نسبة عرضية كان سببها بعض المواقف الكلامية والسياسية التي اشتهر بها ابن إباض وتميز بها، فنسب المذهب إليه، و لم يستعمل "الإباضية" في تاريخهم المبكر هذه النسبة، بل كانوا يستعملون عبارة "جماعة المسلمين" أو "أهل الدعوة" أو "أهل الاستقامة" وأول ما ظهر استعمالهم لكلمة "الإباضية" كان في أواخر القرن الثالث، وقد توزع علم جابر بن زيد في روافد كثيرة، لعل أخصبها وأثراها ما آثره عنه تلاميذه الذين انتشر المذهب على أيديهم، أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، و ضمام بن السائب وغيرهم، وقد تم تدوين ذلك الفقه في فترة مبكرة في كتاب روايات ضمام، وفتيا الربيع بن حبيب، وكتاب النكاح لجابر بن زيد، وكتاب الصلاة له، وكثير من الروايات عن تلميذه عمرو بن هرم، وعمرو بن دينار، بالإضافة إلى حديثه الذي جمعه الربيع بن حبيب في مسنده الصحيح، فالمذهب الإباضي بالنظر إلى تأسيسه ونشأته من أقدم المذاهب الفقهية الإسلامية، وهو نتاج مدرسة العراق والبصرة خصوصا، واكتملت صورة المذهب وتم تحرير أقواله وآرائه في صورتها النهائية في أواخر أيّام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، الذي

بالقرآن، وبأحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقد كان قادراً على أنْ ينشأ مذهباً مستقلاً، وأنْ يجذب إليه عدداً من المتعلمين، وفي وقت لاحق راح هؤلاء يطورون آراءه واستدلالاته، وينشرونها [79].

وحقيقة كون جابر إمام مجتهد وصاحب مذهب فقهي مستقل أمر اعترفت له به المرجعيات السنية أيضاً، يقول النوويّ عنه في كتابه (تهذيب الأسماء): " اتفقوا على توثيقه وجلالته، وهو معدود في أئمة التابعين وفقهائهم، وله مذهب يتفرَّد به"[80].

وهذا الدور الطليعي الذي لعبه جابر معترف له به بوضوح من قبل الإمام الثاني للإباضية أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة – الذي اتخذ الفقه الإباضي على يده شكله النهائي – حيث قال : "كل صاحب حديث ليس له إمام في الفقه فهو ضال ، ولولا أن الله منَّ علينا بجابر بن زيد لضللنا" [81]. وقد شكك البعض في انتساب الإباضية إليه، وادّعوا عدم صحة ذلك، وأنه قد تبرّأ من انتساب المذهب الإباضي إليه، مستندين إلى ما نقل عن عزرة وعن ثابت البناني أنه قال: "قلت لجابر بن زيد إنّ الإباضية يزعمون أنك منهم قال: أبرأ إلى الله منهم" [82]، وعن ثابت البناني أن الحسن

خلف جابر بن زيد على إمامة أشياخ المذهب في البصرة، وهي مركز التجمع الأساسي لعلماء الإباضية؛ حتّى قرابة نهاية القرن الثالث، وعنه حمله طلبته الذين وفدوا عليه من المغرب والمشرق إلى بلدانهم، التي أضحت (من بعد) مراكز "لدول إباضية"، لعبت دورا سياسياً خطيراً، في كل من جنوب الجزيرة وشرقها (اليمن، وحضرموت، ثُمّ سلطنة عمان، وفي شمال أفريقيا: ليبيا، وتونس، والجزائر)،وقد عُرف هؤلاء التلاميذ باسم خاص تطلقه عليهم كتب السير والطبقات "الإباضية" باسم: "حملة العلم". انظر النامي (2001) المرجع نفسه، ص33، ومابعدها.

([79]) انظر النامي (2001) المرجع نفسه، ص76.

([80]) محي الدين بن شرف النوويّ (د.ت) **تهذيب الأسماء والصفات** (تح: مصطفى عبد القادر عطى)، ج1، 157.

([81]) الشماخيّ (د.ت) السير ص 81، نقلا عن النامي(2000) مرجع سابق، ص109.

([82]) انظر ابن حجر العسقلانيّ (1984) **تهذيب التهذيب**، مرجع سابق، ج2، ص34.

– وانظر أبي الحجاج يوسف المزيّ (1985)**تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، بيروت:لبنان، مؤسسة الرسالة، ط4، ج4، ص234.

– وانظر النامي (2000) مرجع سابق، ص88.

قال لجابر عندما زاره وهو على فراش الموت: "إنّ الإباضية تتولاك فقال: إني أبرأ إلي الله منهم"[83]، وكلاهما يزعم أنّ جابراً أعلن هذا النفي وهو على فراش الموت، ثم إنّ زيارة ثابت البنانيّ لجابر برفقة الحسن البصريّ مذكورة في المصادر الإباضية ، وقد جرت فعلاً، وهي واردة في جميع المصادر وتؤكد أنّ جابراً، وهو على فراش الموت، تمنى أنْ يرى الحسن البصريّ الذي كان آنذاك متواريا عن الأنظار خوفاً من الحجاج ، وقد ذكر ثابت البناني للحسن رغبة جابر وجاء كلاهما سرّاً إلى منـــزل جابر، وحين شاهداه قال الحسن لجابر: قل لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ، فرد عليه جابر: يا أبا سعيد، {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا}[سورة الأنعام (6): 158]، ثم أردف يقول: أعوذ بالله من غدوٍ ورواحٍ إلى النار، عند سماع ذلك قال الحسن معلقا: هذا والله الفقيه العالم[84].

ومثل هذه الإضافة لا يمكن اعتبارها صحيحة لأسباب عدة:

1- إن غالبية المصادر، بما فيها المصادر غير الإباضية ذكرت هذه الحكاية بدون أنْ تذكر أنَّ جابراً تكلم عن موقفه من الإباضية أو أهل النهر، ثم إنَّ البغطوري أكد بعد أنْ روى محادثة جابر والحسن كما وردت أعلاه، أنّ جابراً لم يضف بعد ذلك أي كلام.

2 - إذا كان جابر يعتقد هذا الاعتقاد، لاسيما بخصوص هذه المسائل المهمة، فإنَّ ذلك ينبغي أنْ يكون معروفاً عنه قبل أنْ يصبح على فراش الموت.

3 - لا يبدو أنَّ المناسبة كانت ملائمة فعلا لطرح مثل هذه الأسئلة على جابر.

5 - أنَّه بما أنَّ الحسن البصريّ كان صديقاً لجابر بن زيد، فلا بُدَّ أنْ يكون عارفاً لآراء جابر ومعتقده قبل زيارته له وهو علي فراش الموت.

([83]) انظر البكوش (1986) مرجع سابق، ص26.

([84]) انظر النامي (2001) مرجع سابق، ص81.

6 – إنَّ المصادر الإباضية تجمع علي أنَّ جابرَ بن زيد هو مؤسس المذهب الإباضي وإمامه دون منازع، وقد سجنه الحجاج ثم نفاه إلى عمان لعلاقته بالإباضية [85]، وهو أول عمل وقمعٍ جدي واجه جابراً واتباعه في عهد الحجاج.

والظاهر أنَّ السبب الرئيس الذي دفع الحجاج إلى تغيير سياسته نحو الإباضية هو صراعه مع آل المهلب، وذلك بسبب العلاقات القوية بين جابر وهذه العائلة، وما يفسر هذا التغيير في سياسة الحجاج نحو جابر والحركة الإباضية هو ظنه أنَّ جابراً قد يقوم بعمل ما ضده لمساعدة آل المهلب [86].

وقد نقل ابن حجر العسقلانيّ عن الساجي قول يحيى بن معين أن جابراً كان إباضيا وعكرمة صفرياً [87] وهو إمام الجرح والتعديل وعالم الإسناد.

كما صنف الشهرستانيّ في كتابه الملل والنحل جابر بن زيد من جملة علماء الخوارج ورجالاتهم الإباضية [88].

([85]) انظر البكوش (1986) مصدر سابق، ص27، 28.

([86]) انظر النامي(2001) مصدر سابق، ص90.

([87]) انظر ابن حجر العسقلانيّ (1984) مرجع سابق، ج2، ص34.

([88]) انظر البكوش (1986) مصدر سابق، ص 26.

المبحث الخامس: وفاته:

أورد الدكتور عمرو النامي اختلاف كُتّاب السير في تاريخ وفاة جابر وأوصلها إلى خمسة تواريخ، فذكر أنَّ الذين يقولون إنَّ جابراً تُوّفي في نفس الأسبوع الذي تُوفي فيه الصحابي أنس بن مالك – رضي الله عنه – يذكرون تاريخين أولهما 91 هـــ كما يقول ابن حبان، وثانيهما 93 هـــ.

وهذا التاريخ الأخير هو الراجح عنده؛ لأنَّ الذين ذكروه هم: الربيع بن حبيب، والبخاريّ [89]، وأحمد بن حنبل [90]، والفلاس [91]، وأبو نعيم [92]، وابن حبان[93].

([89]) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاريّ، الجعفيّ، أبو عبد الله (194 – 256 هـــ): محدث حافظ، فقيه، مؤرخ، مشارك في علوم كثيرة. ولد في بخارى، ونشأ يتيما، وقام برحلة طويلة في طلب الحديث، فزار خراسان والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ، وجمع نحو ست مئة ألف حديث اختار منها في صحيحه ما وثق برواته، أقام في بخارى، فتعصب عليه جماعة ورموه بالتهم، فأخرج إلى خرتنك (من قرى سمرقند) فمات ودفن فيها، وهو صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، و التاريخ، والضعفاء، في رجال الحديث، وخلق أفعال العباد، والأدب المفرد، والسنن في الفقه، والأسماء والكنى. انظر الذهبيّ (1993) سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج1، ص431، 443، 456 وما بعدها.

([90]) أحمد ابن حنبل، أبو عبد الله، الشيبانيّ الوائليّ (164 – 241 هـــ): إمام المذهب الحنبليّ، وأحد الأئمة الأربعة، أصله من مرو، وكان أبوه والي سرخس، وولد ببغداد، فنشأ منكبا على طلب العلم، وسافر في سبيله أسفارا كثيرة، سجن المعتصم ثمانية وعشرين شهرا لامتناعه عن القول بخلق القرآن، وأطلق و لم يصبه شر في زمن الواثق بالله، ولما توفي الواثق وولي أخوه المتوكل ابن المعتصم أكرم ابن حنبل وقدمه، ومكث مدة لا يولي أحدا إلا بمشورته، وتوفي وهو على تقدمه عند المتوكل، من أشهر مصنفاته: المسند، وله كتب في التاريخ، والناسخ والمنسوخ، والتفسير، وفضائل الصحابة، والمناسك، والزهد، والعلل والرجال. انظر أحمد بن محمد ابن خلكان (1900) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس بيروت: لبنان، دار صادر، ج1، ص63، 64 وما بعدها، وانظر الزركليّ (1980) مرجع سابق، ج1، ص203.

([91]) عمرو بن علي بن بحر والفلاس، أبو حفص السقاء (000- 249هـــ) باحث من أهل البصرة، سكن بغداد، ومات بسر من رأي، كان من حفاظ الحديث الثقات، وفي أصحاب الحديث من يفضله على ابن المدينيّ. انظر الزركليّ (1980) المرجع نفسه، ج5، ص82.

([92]) أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهانيّ (336 – 430 هـــ) حافظ، مؤرخ، من الثقات في الحفظ والرواية، كان من الأعلام المحدثين، وأكابر الحفاظ الثقات، أخذ عن الأفاضل، وأخذوا عنه، وانتفعوا به، ولد ومات في أصبهان، من تصانيفه: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ومعرفة الصحابة، وطبقات المحدثين والرواة ، ودلائل النبوة، وذكر أخبار أصبهان، وكتاب الشعراء. انظر ابن خلكان (1900) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، مرجع سابق، ج1، ص91.

وهؤلاء جميعاً محدّثون، وقد كانوا ملزمين بالدقة في إعطاء التاريخ المضبوط لوفاة المحدّث؛ لأنّ ذلك ذو أهمية كبيرة بالنسبة لهم، فيما يتعلق بصحة الإسناد.

ومما يؤكد هذا الرأي ويرجحه أيضاً عند الدكتور النامي هو أخذ الحقائق التالية بعين الاعتبار:

أ) إنّ غالبية المصادر تقول إنَّ جابراً أراد ليلة وفاته، أنْ يرى الحسن البصريّ الذي كان آنذاك مختفياً يتجنب الحجاج، وبناء على ذلك لا بُدّ أنَّ وفاة جابر حصلت قبل وفاة الحجاج 95 هـــ.

ب) إنّ غالبية المصادر ذكرت أنَّ جابراً توفي قبل وفاة الصحابيّ أنس بن مالك – رضي الله عنه – الذي قال عند السماع بنبأ وفاة جابر: اليوم قضى أعلم أهل الأرض. ويؤرخ ابن سلام، وابن سعد، والوا قديّ، والمسعوديّ، والأصمعيّ، وابن مداد وفاته في سنة 103 هـــ؛ في حين أنَّ الشماخيّ وحده يذكر تاريخ وفاته سنة 96 هـــ؛ ونقل ابن حجر عن ابن عدي أنَّ جابراً توفي سنة 104 هـــ [94].

([93]) محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميميّ، أبو حاتم البستيّ، ويقال له ابن حبان (00- 354 هـــ) مؤرخ، علامة، جغرافي، محدث، ولد في بست من بلاد سجستان، وتنقل في الأقطار، فرحل إلى خراسان والشام ومصر والعراق والجزيرة. وتولى قضاء سمرقند مدة، ثم عاد إلى نيسابور، ومنها إلى بلده، حيث توفي في عشر الثمانين من عمره، وهو أحد المكثرين من التصنيف. انظر الزركليّ (1980) المرجع نفسه، ج6، ص78.

([94]) انظر النامي (2001) المرجع نفسه، ص93.

– وانظر ابن سعد (1968) مرجع سابق، ج7، ص182.

– وانظر الذهبي (1993) **سير أعلام النبلاء**، بيروت: لبنان، مؤسسة الرسالة،ط9، ج4، ص483.

– وانظر محمد بن حبان (1991) **مشاهير علماء الأمصار و أعلام فقهاء الأقطار** (تح: مرزوق على إبراهيم) المنصورة: مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، ج1،ص144.

– وانظر ابن حجر العسقلاني (1984) **تهذيب التهذيب**، مرجع سابق، ج2، ص34.

– وانظر محمد بن إسماعيل البخاري (1986) **التاريخ الصغير** (تح: محمود إبراهيم زايد، فهرس أحاديثه يوسف المرعشي) بيروت: لبنان، دار المعرفة،ط1، ج1، ص241.

الفصل الثاني

الحسن البصريّ: حياته وآثاره

المبحث الأول: حياته ونشأته.

المبحث الثاني: مكانته العلمية.

المبحث الثالث: آثاره العلمية.

المبحث الرابع: انتساب المعتزلة إليه.

المبحث الخامس: وفاته.

المبحث الأول: حياته ونشأته.

الحسن بن يسار الملقب بالبصريّ، يدعي تارة بابن أبي الحسن وأخرى أبو سعيد وكنيته أبو سعيد، أبوه اسمه يسار كان مولى لزيد بن ثابت الأنصاريّ،سكن المدينة وأعتق، أما أمه فتسمى بخيرة كانت مولاة لأم سلمة [95] أم المؤمنين المخزومية – رضي الله عنها [96].

تزوج بها يسار في خلافة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فولدت له الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر، سنة 21هجرية بالمدينة، ويذكر أن له من الإخوة:سعيد وعمّار ،كانت أم سلمة تبعث أم الحسن في الحاجة فيبكي وهو طفل فتسكنه أم سلمة بثديها تعلله حتى تعود أمه،وكانت أمه منقطعة إلى أم سلمة فكانت تخرجه إلى أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وهو صغير،فكانوا يدعون له،فأخرجته إلى عمر فدعا له وقال:"اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس"[97].

وسبب نسبة البصريّ إليه أنه عندما خرج من المدينة أوائل سنة سبع وثلاثين،ليالي موقعة صفين،وعمره حينها:ست عشرة سنة، دخل البصرة واتخذها مستقراً ومقاماً؛ ولذلك نسب إليها [98].

([95]) أم سلمة أم المؤمنين هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر المخزومية، بنت عم خالد بن الوليد، وبنت عم أبي جهل. السيدة المحجبة الطاهرة، من المهاجرات الأول، كانت قبل النبي – صلى الله عليه وسلم – عند أخيه من الرضاعة: أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، الرجل الصالح، دخل بها النبي صلى الله عليه وسلم في سنة أربع من الهجرة. وكانت من أجمل النساء وأشرفهن نسباً، وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين، عمرت حتى بلغها مقتل الحسين، الشهيد، فوجمت لذلك، وغشي عليها، وحزنت عليه كثيرا، لم تلبث بعده إلا يسيرا، وانتقلت إلى الله، ولها أولاد صحابيون: عمر، وسلمة، وزينب، ولها جملة أحاديث. عاشت نحوًا من تسعين سنة، وأبوها: هو زاد الراكب أحد الأجواد، قيل: اسمه حذيفة، وكانت تعد من فقهاء الصحابيات. انظر الذهبيّ (1993) سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج2، ص201، 202، 203.

([96]) انظر المزيّ (1985)**تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، مرجع سابق،ج6،ص103.

([97]) الذهبيّ (1993) مرجع سابق، ج4،ص565 .

([98]) انظر الشريف حاتم بن عارف العونيّ (د.ت) ،المرسل الخفي وعلاقته بالتدليس، دراسة نظرية وتطبيقية على: مرويات الحسن البصري،دار الهجرة للنشر والتوزيع،ج 1، ص 235.

وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب رضي الله عنه،واستكتبه الربيع بن زياد والي خرسان في عهد معاوية، وسكن البصرة، وعظمت هيبته في القلوب [99].

كان رحمه الله حسن الهيئة، قال محمد بن سعيد:كان الحسن جامعاً، عالماً، رفيعاً، فقيهاً، ثقةً، حجةً، مأموناً، عابداً، ناسكاً، كثير العلم، فصيحاً، جميلاً، وسيماً [100]

وكان بيته بيت العلماء الزهاد، ليس فيه من الأثاث إلا أدنى احتياجاته مما يقي الحر والقر، فقد روي مطر قال: دخلنا الحسن نعوده، فما كان في البيت شيء لا فراش ولا بساط ولا وسادة ولا حصير إلا سري مرمول هو عليه، كثير العبادة من غير إفراط يصوم الأيام البيض من كل شهر، والأشهر الحرم، ويومي الإثنين والخميس من كل أسبوع [101].

ويري نفسه مقصراً في جنب الله تعالى، لا يؤدِّ ي ما وجب عليه من شكر، وما أداه ما يدر ي أيقبل منه يوم القيامة أم لا؛ ولذا كان كثير الهم، طويل الحزن كثير البكاء، وكان يقول رحمه الله: " نضحك!! ولعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا، فقال: لا أقبل منكم شيئاً"[102].

قال إبراهيم بن عيسى اليشكريّ: ما رأيت أطول حزناً من الحسن، وما رأيته إلا حسبت حديث عهدٍ بمصيبةٍ [103]، فقد كان قليل الضحك؛ لأنه يعدُّ ضحك المؤمن غفلة من قلبه ولهو لا ينبغي له، روي ابن أبي الدنيا عن حمزة الأعمى قال: ذهبت بي أمي إلى الحسن فقالت: يا أبا سعيد، ابني هذا قد أحببت أن يلزمك، فلعل الله أن ينفعه بك، قال فكنت أختلف إليه، فقال لي يوماً: يا بني أدم الحزن على خير الآخرة لعله أن

([99]) انظر الزركلي (1980) مرجع سابق، ج2، ص226 .

([100]) انظر الذهبي (1993) مرجع سابق، ج4 ،ص572.

([101]) انظر الذهبي (1993) المرجع نفسه،ج4 ،ص578.

([102]) المزي (1985) مرجع سابق ج1، ص358.

([103]) المزي (1985) المرجع نفسه، ج 6 ،ص 112.

يوصلك إليه، وابْكِ في ساعات الليل والنهار في الخلوة، لعل مولاك أنْ يطلع عليك فيرحم عبرتك، فتكون من الفائزين.

وقال يزيد بن حوشب: ما رأيت أحزن من الحسن وعمر بن عبد العزيز، كأن النار لم تخلق إلا لهما [104].

كان كثير الجهاد، قال سليمان التيميّ: كان الحسن يغزو، وكان ينوب عنه في الفتوى بالبصرة جابر بن زيد أبو الشعثاء، فإذا رجع الحسن عاد للفتوى [105].

وقد خرج للغزو وله إحدى وعشرون سنة، تحت قيادة أحد الصحابة، هو: عبد الرحمن بن سمرة [106] -رضي الله عنه -أميراً على سجستان،فحضر معه الحسن البصريّ حصار (كابل) وفتحها، ومكث الحسن في هذه الغزاة سنتين [107]، وقد خرج الحسن مجاهداً وكاتباً، وله ثلاثون سنة، وذلك عندما ولي الربيع بن زياد الحارثي [108] إمرة خرسان؛ فخرج الربيع ومعه من أهل الكوفة والبصرة نحو خمسين ألفّا بعائلاتهم، وفيهم من الصحابة -رضوان الله عليهم - مكث الحسن في غزاته هذه مجاهداً، وكاتباً للربيع بن زياد بعد سنتين ونصف من ولايته [109]، وقد بلغ من

([104]) أبو الفداء ابن كثير (1988) **البداية والنهاية** (تح: علي شيري) دار إحياء التراث العربي، ط1، ج9، ص302.

([105]) انظر الذهبي (1993) مرجع سابق، ج4 ،ص572.

([106]) عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس القرشيّ، أبو سعيد (...- 50 هـ): صحابي، من القادة الولاة، أسلم يوم فتح مكة، وشهد غزوة مؤتة، وسكن البصرة. وغزا خراسان في زمن عثمان، وهو الذي افتتح سجستان؛ وكابل وغيرهما، وولي سجستان، وغزا خراسان ففتح بها فتوحا، ثم عاد إلى البصرة فتوفي فيها،كان اسمه في الجاهلية (عبد كلال) وسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن. انظر خير الدين الزركلي (1980) الأعلام، مرجع سابق، ج3، ص307.

([107]) انظر الشريف حاتم العوني (1997) **المرسل الخفي وعلاقته بالتدليس**، مرجع سابق، د.ط، ج1، ص286.

([108]) الربيع بن زياد بن أنس بن الديان، وهو يزيد بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب من مذحج، روى عن عمر بن الخطاب، وكان عمر يقول: دلوني على رجل إذا كان في القوم وهو أمير فكأنه ليس بأمير، وإذا كان فيهم وهو غير أمير فكأنه أمير، فقالوا: ما نعلمه إلا الربيع بن زياد بن أنس، وكان متواضعا خيرا وقد ولي خراسان وفتح عامتها، وكان له أخ يقال له المهاجر بن زياد، وكان صالحاً وقتل مع أبي موسى الأشعري شهيداً يوم تستر، انظر ابن سعد (1968) الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ج6، ص 159.

([109])انظر أحمد البلاذري (د.ت) فتوح البلدان، القاهرة: مصر، مطبعة لجنة البيان العربي، د.ط،ج2،ص485.

مكانة الحسن البصريّ في النفوس، ومن ثقة الناس به أنهم ينتفعون به بمجرد النظر إليه وإنْ لم يسمعوا قوله، لأنّه كان له من الفيض الروحي ما يعم جلاّسه.

وهذا موقف أردت إيراد ه للحسن من رجل اغتابه، قيل للحسن:إن فلانا اغتابك، فبعث إليه طبق حلوى، وقال: بلغني أنك أهديت إليّ حسناتك فكافأتك [110].

المبحث الثاني: مكانته العلمية.

كان الحسن رحمه الله تعالى عالماً جامعاً بارعاً في شتى علوم الدين، في العقيدة والتفسير والحديث والفقه، قال حميد ويونس بن عبيد: "قد رأينا الفقهاء،فما رأينا منهم أجمع من الحسن"، وقد ثنى عليه العلماء كل الثناء ويبدو ذلك واضح في الأقوال التي أوردناها سابقاً بل واستفاض ثناء الأعلام عليه، وأنه كان أعلم أهل زمانه،فقال الشعبيّ: "ما رأيت من أهل تلك البلاد رجلاً قط أفضل من الحسن" [111]، قال قتادة: "ما جمعت علم الحسن إلى علم أحدٍ من العلماء إلا وجد ت له فضلاً عليه،غير أنه إذا أشكل عليه شئٌ كتب فيه إلى سعيد بن المسيب يسأله،وما جالس ت فقيهاً قط إلا رأيت فضل الحسن عليه" [112].

وكان علم الفقه من أبرز العلوم التي نبغ فيها الحسن رحمه الله وتميز به، وشه د له العلماء بالسبق فيه والتقدم، قال بكر بن عبد الله المزنيّ: " من سره أن ينظر إلى أفقه من رأينا فلينظر إلي الحسن" [113].

قال الذهبيّ في تاريخ الإسلام: " فأما حلقته في المسجد فكان يمر فيها الحديث، والفقه، وعلوم القرآن، واللغة، وسائر العلوم، وكان ربما يسأل عن التصوف فيجيب،

([110]) انظر أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان (1900) **وفيات الأعيان أبناء الزمان** (تح: إحسان عباس) بيروت: لبنان، دار صادر، ج2: ص71.

([111]) انظر ابن سعد (1968) مرجع سابق، ج7، ص162.

([112]) تهذيب الكمال (1985) مرجع سابق، ج6، ص107.

([113]) انظر الذهبي (1993) مرجع سابق، ج4 ،ص578.

وكان منهم من يصحبه للحديث، ومنهم من يصحبه للقرآن والبيان، ومنهم من يصحبه للبلاغة، ومنهم من يصحبه للإخلاص وعلم الخصوص" [114].

ومما يجب ذكره هنا أنّ منهج بن مسعود –رضي الله عنه– في التفكير الفقهي يماثل منهج التفكير عند عمر بن الخطاب–رضي الله عنه– إذ كان كلاهما يتلمس مقاصد الشارع من الأحكام أكثر من تلمّسه ألفاظه في النصوص ، وكان الحسن البصريّ الفقيه ممن أخذ عن تلاميذ عبد الله بن مسعود نهج عمر بن الخطاب في التفكير الفقهي، حيث يتلمس دائما مقاصد الشارع ويتوجه إليها في الأحكام.

فعن حماد بن سلمة، عن الجريريّ، أن أبا سلمة بن عبد الرحمن قال للحسن: أرأيت ما تفتي الناس، أشيئاً سمعته أم برأيك – فقال: لا والله ما كل ما نفتي به سمعناه، ولكن رأينا لهم خيرٌ من رأيهم لأنفسهم [115].

قال مورق العجليّ: قال لي أبو قتادة: الزم هذا الشيخ وخذ عنه – يعني الحسن البصريّ – فوالله ما رأيت رجلا أشبه رأي بعمر بن الخطاب منه" [116].

ولقد شهد بعض صحابة رسول الله – صلي الله عليه وسلّم – من الحسن البصري هذه التفقه، واعترفوا له بالعلم والفهم، فكانوا يردون المستفتين إليه ليفتيهم.

وملم لاشك فيه أنه كان من أجلّ التابعين الذين عنوا بالتفسير، فكان مرجعاً أصيلاً فيه، وقمة في الرجوع إليه، فكان من المبرزين في التفسير في التابعين، فقد انفرد عمن سبقه ومن عاصره من الفقهاء بعض الاجتهادات الفقهية وفي التفسير، وسوف نذكر فيما يلي من مباحث هذه الدراسة ذلك إن شاء الله تعالى.

اتفقت الكلمة على أنَّ الحسن البصريّ كان أشبه شيء بأصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – في العلم والورع.

([114]) الذهبي (1993) المرجع نفسه، ج4، ص579.

([115]) انظر ابن سعد (1968) الطبقات، مرجع سابق، ج7، ص165.

([116]) انظر الذهبي (1993) سير أعلام النبلاء، المرجع نفسه،ج4 ،ص577.

وقد أثنى عليه مجموعة من العلماء والصحابة: فعن أنس بن مالك قال: سلوا الحسن فإنه حفظ ونسينا، قال قتادة: كان الحسن من أعلم الناس بالحلال والحرام، وقال يونس بن عبيد: أما أنا فإني لم أر أحد أقرب قولاً من فعل من الحسن، وقول حميد ويونس: ما رأينا أحداً أكمل مروءة من الحسن [117].

ووصفه الذهبيّ بأنّه: " كان رأساً في العلم والحديث، إماماً مجتهداً كثير الإطلاع، رأساً في القرآن وتفسيره، رأساً في الوعظ والتذكير، رأساً في الحلم والعبادة، رأساً في الزهد والصدق، رأساً في الفصاحة والبلاغة، رأساً في الأيد والشجاعة" [118].

فقد كان إماماً في العلم والعمل، من أعلام الإسلام وساداته المعدودين، وقد أطبقت الأمة على إمامته، وجلالته، وأنه ممن يقتدى بهم، ويؤتسى بهديهم، وممن هم على منهاج النبوة، فعن أبي بردة قال: ما رأيت أحداً أشبه بأصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من هذا الشيخ، يعني الحسن [119].

وروى عن جرير بن حازم عن حميد بن هلال أنّه قال: قال لنا أبو قتادة العدوي: إلزموا هذا الشيخ فما رأيت أحداً أشبه بعمر رضي الله عنه منه، يعني الحسن [120].

و نقل الذهبي عن الأعمش أنه قال: "ما زال الحسن يعي الحكمة حتى نطق بها، وكان إذا ذكر الحسن عند أبي جعفر الباقر قال: ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء" [121]، وحري لمن كان كلامه شبيه بالأنبياء أنْ يكون قمة في الفصاحة، ينطق بالحكمة من فيه.

([117]) انظر الذهبي (1993) المرجع نفسه،ج4 ،ص577.

([118]) شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (1987) **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** (تح: عمر عبد السلام تدمري) بيروت لبنان، دار الكتاب العربي، ط1، ج 7، ص 49، 50.

([119]) انظر الذهبي (1987) المرجع نفسه، ج 7، ص 50.

([120]) انظر الذهبي (1993) مرجع سابق، ج4 ،ص577.

([121]) الذهبي (1993) المرجع نفسه،ج4، ص585.

المبحث الثالث: آثاره العلمية:

لم أجد فيما اطلعت عليه من مصادر أية معلوماتٍ تذكر بشأن الآثار العلمية للحسن البصريّ عدا ما ذكر ه الزركلي في كتابه الأعلام أن له كتاباً في فضائل مكة، وما رواه أصبغ بن زيد قال: مات الحسن وترك كتباً فيها علم، وفي رواية سهل بن الحصين الباهليّ قال: بعثت إلى عبد الله بن الحسن البصري: "ابعث إليّ بكتب أبيك، فبعث إليّ أنه لما ثقل قال لي: اجمعها لي، فجمعتها له وما أدر ي ما يصنع بها، فأتيت بها، فقال للخادم: أسرجي التنور، ثم أمر بها فأحرقت غير صحيفة واحدة،فبعث بها إليّ وأخبرني أنه كان يقول:ارو ما في هذه الصحيفة"[122] .

ولعل سبب ذلك يرجع إلى طبيعة المرحلة التي عاشها الحسن وواكبها، وهي مرحلة الحفظ في الصدور والنقل من غير أن يكون هناك كتابة أو تدوين، وإن وجدت في نهاية حياته، والسبب يعود من مخافة الولاة من أن ينشغل الناس آناذاك بشئ آخر غير القرآن الكريم وحفظه وتدوينه، وأغلب الظن أنّ الحسن كان يهتم بتدوين السنة، ولا أظنه يتجرأ على إحراقها، وأنّ الصحف والكتب التي أحرقها هي ما تعلق بكتابة رأيه واجتهاداته التي انفرد بها عن من سبقه ومن عاصره من العلماء والفقهاء.

والحسن البصريّ ذو أقوال بليغة وحكم ومواعظ تجد طريقها إلى القلوب المتيقظة بيسر؛ لأنه كما سبق وذكرت أنّ كلامه أشبه ما يكو ن بكلام الأنبياء، وهذه بعض من أقواله وحكمه ومواعظه ممن أوردوها عنه وسمعوها منه:

([122]) الذهبيّ (1993) مرجع سابق، ج4 ، ص584.

قال حزم بن أبي حزم: سمعت الحسن يقول: بئس الرفيقان الدينار والدرهم، لا ينفعانك حتى يفارقاك.

وذكر سلام بن مسكين عن الحسن قال: أهينوا الدنيا، فوالله لأهنأ ما تكو ن إذا أهنتها.

وعن حميد الطويل قال:كان الحسن يقول:اصحب الناس بما شئت أن تصحبهم، فإنهم سيصحبونك بمثله.

وعن عبد الله بن محمد بن جعفر، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحارث، قال: حدثنا محمد بن المغيرة، قال: حدثنا عمران بن خالد، قال: قال: الحسن: إن المؤمن يصبح حزيناً ويمسي حزيناً ولا يسعه غير ذلك، لأنه بين مخلفتين؛ بين ذنب قد مضى لا يدري ما الله يصنع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما يصيب فيه من المهالك.

وعن مبارك بن فضالة قال: سمعت الحسن يقول: فضح الموت الدنيا، فل م يترك فيها لذي لب فرحاً.

وعن أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا محمد بن العباس بن أيوب، قال: حدثنا علي بن مسلم، قال: حدثنا زافر بن سليمان، قال: ذكر أبو مروان بشر الرحال، عن الحسن، قال: يحق لمن يعلم أن الموت مورده وأنّ الساعة موعده، وأن القيام بين يدي الله تعالى مشهده، أنّ يطول حزنه.

وعن أبي محمد بن حيان، قال: حدثنا عبد الله بن أبي داود، قال: حدثنا علي بن مسلم ن قال: حدثنا عباد، عن هشام، عن الحسن، قال: إن المؤمن يصبح حزيناً ويمسي حزيناً وينقلب في الحزن ويكفيه ما يكفي العنيزة [123].

وعن أبي بكر بن محمد بن الحسن، قال: حدثنا بشر بن موسى، قال: حدثنا عبد الصمد بن حسان، قال: حدثنا السري بن يحيى، عن الحسن، أنه قال: والله ما من

([123]) انظر هذه الأقوال عند الذهبيّ (1993) المرجع نفسه، ج4، ص585.

الناس رجل أدرك القرن الأول أصبح بين ظهرانيكم، إلا أصبح مغموماً وأمسى مغموماً كم .

وعن أحمد بن جعفر بن حمدان، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثنا علي بن مسلم، قال: حدثنا سيار، قال: حدثنا جعفر، قال: سمعت هشام بن حسان، قال: حدثنا السري بن يحيى عن الحسن أنه قال: والله لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا حزن وذبل، وإلا نصب، وإلا ذاب، وإلا تعب.

وعن حوشب يقول سمعت الحسن يحلف بالله يقول: والله يا ابن آدم لئن قرأت القرآن ثم آمنت به، ليطولن في الدنيا حزنك، وليشتدّن في الدنيا خوفك، وليكثرن في الدنيا بكاؤك.

وعن العوام بن حوشب قال عنه انه قال: من كانت له أربع خلال حرمه الله عن النار، وأعاذه من الشيطان: من يملك نفسه عند الرغبة والرهبة وعند الشهوة، وعند الغضب [124].

وعن عبد الله بن أبي الأسود، عن الحسن، أنه كتب على عمر ابن عبد العزيز والسياق لأبي حميد الشامي:" اعلم أن التفكر يدعو إلى الخير والعمل به، والندم على الشر يدعو إلى تركه، وليس ما يفنى وإن كان كثيراً يعدل ما يبقى وإن كان طلبه عزيزاً، واحتمال المؤونة المنقطعة التي تعقب الراحة الطويلة خير من تعجيل راحة منقطعة تعقب مؤونة باقية، فاحذر هذه الدار الصارعة الخادعة الخاتلة التي قد تزينت بخدعها، وغرت بغرورها، وقتلت أهلها بأملها، وتشوفت لخطابها، فأصبحت كالعروس المجلولة، العيون إليها ناظرة، والنفوس لها عاشقة، والقلوب إليها والهة، ولألبابها دامغة، وهي لأزواجها كلهم قاتلة، فلا الباقي بالماضي معتبر، ولا الآخر بما رأى من الأول مزدجر، ولا اللبيب بكثرة التجارب منتفع، ولا العارف بالله والمصدق له حين أخبر

([124]) انظر هذه الأقوال وغيرها عند الذهبيّ (1993) المرجع نفسه، ج4، ص585.

– وانظر أبي نعيم الأصفهاني (د.ت) حلية الأولياء، مرجع سابق، ج2، ص153، وما بعدها.

عنها مدكر، فأبت القلوب لها إلا حباً، وأبت النفوس بها إلا ضناً، وما هذا منالها إلا عشقاً، ومن عشق شيئاً لم يعقل غيره، ومات في طلبه أو يظفر به، فهما عاشقان طالبان لها؛ فعاشق قد ظفر بها واغتر وطغى ونسي بها المبدأ والمعاد، فشغل بها لبه، وذهل فيها عقله، حتى زلت عنها قدمه، وجاءته أسر ما كانت له منيته فعظمت ندامته، وكثرت حسرته، واشتدت كربته مع ما عالج من سكرته، واجتمعت عليه سكرات الموت بألمه، وحسرة الموت بغصته، غير موصوف ما نزل به. ولآخر مات قبل أن يظفر منها بحاجته فذهب بكربه وغمه لم يدرك ما طلب، ولم يرح نفسه من التعب والنصب. خرجا جميعاً بغير زاد، وقدما على غير مهاد" [125].

وهذه الأقوال الفصيحة التي أوردها عن الحسن البصري الواعظ الزاهد إنما هي غيض من فيض لو وضعها كل شخص نصب عينيه وفعله لربح ربحاً عظيماً.

المبحث الرابع: انتساب المعتزلة إليه وقوله بالقدر.

اختلف المؤرخون في بواعث ظهور مذهب المعتزلة [126]، واتجه العلماء إلى أنّ سبب الاعتزال حدث نتيجة اختلاف بعض الأحكام الدنية [127]، كالحكم على

([125]) انظر أبي نعيم الأصفهاني (د.ت) حلية الأولياء، مرجع سابق، ج2، ص

([126]) **المعتزلة:** فرقة كلامية ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري (80 هـ - 131 هـ) في البصرة (أواخر العصر الأموي)، وقد ازدهرت في العصر العباسي. اعتمد المعتزلة على العقل في تأسيس عقائدهم وقدموه على النقل، وقالوا بأنّ العقل والفطرة السليمة قادران على تمييز الحلال من الحرام بشكل تلقائي. يقال من أشهر المعتزلة الجاحظ، والخليفة العالم المأمون، والرازي، وابن الرواندي الذي هاجمهم بعد أن فارقهم بكتاباته التي فسرت أحيانًا على أنها إلحادية ورافضة للتدين بشكل عام. وإن كان هذا، وما زال، موضع سجال فكري إلى اليوم.

أعطى تأكيد المعتزلة على التوحيد، وعلى العدل الاجتماعي، الفرقة أهمية كبرى لدى الناس في عصر كثرت فيه المظالم الاجتماعية وكثر فيه القول بتشبيه وتجسيم الذات الإلهية. يعتقد أن أول ظهور للمعتزلة كان في البصرة في العراق، ثم انتشرت أفكارهم في مختلف مناطق الدولة الإسلامية كخراسان وترمذ واليمن والجزيرة العربية والكوفة وارمينيا إضافة إلى بغداد. انطوى تراث المعتزلة لقرون، ولم يعرف عنه سوى من كتابات آخرين، سواء من أشاروا إليهم عبورًا أو من عارضوهم، إلى أن اكتشف مصادفة في اليمن، قبل بضعة عقود، أهم كتاب في مذهب الاعتزال وهو *المغني في أبواب التوحيد والعدل* للقاضي عبد الجبار. انظر مصطفى الشكعة (1991) **إسلام بلا مذاهب**، القاهرة: مصر، الدار المصرية اللبنانية، ط8، ص 393، 394.

([127]) اختلف المؤرخون في بواعث ظهور مذهب المعتزلة، واتجهت رؤية العلماء إلى وجود أسباب عديدة هي:

مرتكب الكبيرة، أو ظرف حضاري أو تاريخي (بسبب سياسي)، وسبب هذه التسمية في الغالب كان تمثله الرواية الشائعة في اعتزال واصل بن عطاء [128] شيخه الحسن البصريّ في مجلسه العلمي في الحكم على مرتكب الكبيرة، وكان الحكم أنه مؤمن فاسق، وتقول الرواية أنَّ واصل بن عطاء لم ترق له هذه العبارة وقال: هو في (منزلة بين منزلتين) [129]، أي ليس بمؤم ن ولا بكافر، وبسبب هذا الحكم والاختلاف فيه

---

1. **سبب ديني**: فالاعتزال حدث بسبب اختلاف في بعض الأحكام الدينية كالحكم على مرتكب الكبيرة، ويستند العلماء المؤيدين لهذه النظرية إلى الرواية الشائعة في اعتزال واصل بن عطاء عن شيخه الحسن البصري في مجلسه العلمي في الحكم على مرتكب الكبيرة.

2. **سبب سياسي**: حيث يعتقد بعض العلماء أن الداعي لظهور هذه الفرقة ظرف حضاري أو تاريخي لأن الإسلام، عند نهاية القرن الأول، كان قد توسع ودخلت أمم عديدة وشعوب كثيرة فيه، ودخلت معها ثقافات مختلفة، ودخلت الفلسفة، ولم يعد المنهج النصي التقليدي النقلي يفي حاجات المسلمين العقلية في جدالهم. والمنهج الذي يصلح لذلك هو المنهج الطبيعي العقلي، والذي سيصبح أهم المذاهب الكلامية من الناحية الخالصة، فهو أكثر المذاهب إغرقًا وتعلقًا بالمذهب العقلاني. انظر مصطفى الشكعة (1991) **إسلام بلا مذاهب**، المرجع نفسه، ص 394، 395.

([128]) أبو حذيفة واصل بن عطاء المعتزلي، المعروف بالغزال، مولى بني ضبة، وقيل مولى بني مخزوم، كان أحد الأئمة البلغاء المتكلمين في علوم الكلام وغيره، وهو رأس المعتزلة، فهو الذي نشر مذهب " الاعتزال " في الآفاق، ولد بالمدينة، ونشأ بالبصرة، وكان يلثغ بالراء فيجعلها غينا، فتجنب الراء في خطابه، وضرب به المثل في ذلك، وكانت تأتيه الرسائل وفيها الراءات، فإذا قرأها أبدل كلمات الراء منها بغيرها حتى في آيات من القرآن. انظر ابن خلكان (1900) **وفيات الأعيان**، مرجع سابق، ج 6، ص 7.

([129]) **المنزلة بين المنزلتين**: وهذا الأصل يوضح حكم الفاسق في الدنيا عند المعتزلة، وهي المسألة التي اختلف فيها واصل بن عطاء مع الحسن البصري، إذ يعتقد المعتزلة أن الفاسق في الدنيا لا يسمى مؤمنًا بوجه من الوجوه، ولا يسمى كافرًا، بل هو في منزلة بين هاتين المنزلتين، فإن تاب رجع إلى إيمانه، وإن مات مصرًا على فسقه كان من المخلدين في عذاب جهنم.

أي أن حكم الفاسق في الدنيا هو أنه ليس بمؤمن ولا بكافر، وبالتالي يظل على هذا الحال؛ فإن تاب أصبح مؤمنًا وإن لم يتب حتى موته يخلد في النار. ينسب إلى الرواقيين التمييز بين قيمة الخير وقيمة الشرّ، إذ يقولون إن هناك أشياء خيرة وأشياء شريرة وأشياء بين البينين. وهذه هي فكرة المعتزلة بالقول بمنزلة بين منزلتين، إذ تأثروا بالرواقيين. وقد تشكل الاعتزال كمذهب في القرن الثاني. والسبب فيه أن رجلاً دخل على الحسن البصري، فقال: يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة، وهم وعيدية الخوارج؛ وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان بل العمل على مذهبهم ليس ركنًا من الإيمان ولا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة؛ فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادًا. فتفكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقًا ولا كافر مطلقًا بل هو في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر. ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن اعتزل عنا واصل، فسمي هو وأصحابه معتزلة.

اعتزل مجلس شيخه الحسن البصريّ، وكوّن لنفسه حلقة دراسية، وفق ما يفه م وما درج آنذاك أن الحسن البصريّ أطلق عبارة (اعتزلنا واصل) ومن هنا بدأت هذه التسمية.

وقد ادعت هذه الفرقة انتساب الحسن البصريّ إليها، ونسبة مذهبهم إلى بعض التابعين من السلف يذكرها المعتزلة في كتبهم، ولا دليل لهم على ذلك، فما عرف من أحوال السلف، وأقوالهم ومواقفهم، يدل على مخالفتهم للمعتزلة، فقد زعموا أنَّ الحسن البصريّ قد قال بالقدر على مذهبهم، وأنه منهم [130]، فيروون عنه أقولاً في

ووجه تقريره أنه قال إن الإيمان عبارة عن خصال خير إذا اجتمعت سُميّ المرء مؤمنًا، وهو اسم مدح. والفاسق لم يستجمع خصال الخير ولا استحق اسم المدح فلا يسمى مؤمنًا، وليس هو بكافر مطلقًا أيضًا لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه لا وجه لإنكارها، لكنه إذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة فهو من أهل النار خالد فيها، إذ ليس في الآخرة إلا فريقان: فريق في الجنة، وفريق في السعير. لكنه يخفف عنه العذاب وتكون دركته فوق دركة الكفار. انظر مصطفى الشكعة (1991) **إسلام بلا مذاهب**، مرجع سابق، ص397.

([130]) **وتسمى القدرية**: وهم من ذهبوا إلى القو ل بأن الإنسان خالق لأفعال نفسه بقدرة خلقها الله فيه، ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله عزّ وجلّ، فهم ينفون القدر ولا يثبتونه، فيرون أنه لاقدر وأن الأمر أنف، وأنه عالم بالأفعال عند حدوثها. وقد ورد في الحديث الشريف ذم هذه الفئة من الناس، فقد جاء في صحيح مسلم عن يحي بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر،فوفق لنا عبد الله بن عمر داخلاً المسجد، فاكتنفناه أنا وصاحبي،أحدنا عن يمينه وآخر عن شماله،فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ،فقلت: يا أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرؤون القرآن، ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأنّ الأمر أنف،فقال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بري منهم، وأنهم براء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر،لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه؛ ماقبل الله منه حتى يؤمن بالقدر،ثم قال :حدثني أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلّم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل، شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر،لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد،حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلّم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه،ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يامحمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله،وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال:صدقت،فعجبنا له يسأله ويصدقه،قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال فأخبرني عن الإحسان، قال أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال فأخبرني عن الساعة، قال: مالمسؤول عنها أعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، ثم انطلق فلبث مليا، ثم قال: ياعمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم" رواه مسلم. انظر مسلم بن الحجاج (د.ت) صحيح مسلم (تح: محمد

القدر، ويوردون له رسائل أرسلها إلى عبد الملك بن مروان، وفيها قوله بالقدر على مذهب المعتزلة [131]، ويقولون: إن رسائله مشهورة.

وقد روى حماد بن زيد عن أيوب، قال: كذب على الحسن سربان من الناس: قوم القدر رأيهم لينفقوه في الناس بالحسن، وقوم في صدورهم شنآن وبغض للحسن وأن نازلته غير مرة في القدر حتى خوفته بالسلطان، فقال: لا أعود فيه بعد اليوم. فلا أعلم أحداً يستطيع أن يعيب الحسن إلا به، وقد أدركت الحسن – والله – وما يقوله قال الحمادان، عن يونس قال: ما استخف الحسن شئ ما استخفه القدر.

قال حماد: لا أعلم أحداً يستطيع أن يعيب الحسن إلا به، وروى أبو معشر، عن إبراهيم، أن الحسن تكلم في القدر،رواه مغيرة ابن مقسم، عنه. وقال سليمان التيمي: رجع الحسن عن قوله في القدر.

حماد بن سلمة، عن حميد، سمعت الحسن يقول: خلق الله الشيطان، وخلق الخير، وخلق الشر.

فقال رجل: قاتلهم الله، يكذبون على هذا الشيخ.

أبو الأشهب: سمعت الحسن يقول في قوله: {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ}[سورة سبأ (34): 54] قال: حيل بينهم وبين الإيمان [132].

فؤاد عبد الباقي) بيروت: لبنان، دار إحياء التراث العربي، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، رقم الحديث: 8، ج1، ص36.

([131]) انظر الشهرستاني (د.ت) الملل والنحل ، مرجع سابق، ص128.

([132]) انظر هذه الأقوال عند الذهبي (1993) المرجع نفسه، ج4، ص 580، 581 .

– قال أبو داود ضعيف الإسناد مقطوع. انظر أبو داود (د.ت) سنن أبي داود، مرجع سابق، كتاب السنة، باب لزوم السنة، ج2، ص616، رقم الحديث 4620.

وقال حماد، عن حميد، قال: قرأت القرآن كله على الحسن، ففسره لي أجمع على الإثبات، فسألته عن قوله: {كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ}[سورة الشعراء (26): 200] قال: الشرك سلكه الله في قلوبهم [133].

وعن حماد بن زيد، عن خالد الحذاء، قال: سأل الرجل الحسن فقال: {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ}[سورة هود (11): 118،19] قال: أهل رحمته لا يختلفون، ولذلك خلقهم، خلق هؤلاء لجنته، وخلق هؤلاء لناره، فقلت: يا أبا سعيد، آدم خلق للسماء أم للأرض ؟ قال: للأرض خلق، قلت: أرأيت لو اعتصم فلم يأكل من الشجرة ؟ قال: لم يكن بد من أن يأكل منها لأنه خلق للأرض، فقلت: {مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ}[سورة الصافات (37): 162، 163] قال: نعم، الشياطين لا يضلون إلا من أحب الله له أن يصلى الجحيم [134].

وعن موسى بن إسماعيل ثنا حماد ثنا خالد الحذاء عن الحسن في قوله تعالى: {وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[سورة هود (11): 119] قال خلق هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه [135].

وقال أبو هلال محمد بن سليم: دخلت على الحسن يوم الجمعة و لم يكن جمع، فقلت: يا أبا سعيد، أما جمعت ؟ قال: أردت ذلك، ولكن منعني قضاء الله،ويقول منصور بن زاذان: سألنا الحسن عن القرآن، ففسره كله على الإثبات، وعن ضمرة بن ربيعة، عن رجاء، عن ابن عون، عن الحسن، قال: من كذب بالقدر فقد كفر، وعن

([133]) انظر الذهبي (1993) المرجع نفسه، ج4، ص 581.

– قال أبو داود صحيح لغيره، انظر أبو داود (د.ت) سنن أبي داود، مرجع سابق، كتاب السنة، باب لزوم السنة، ج 2، ص615، رقم الحديث 4619.

([134]) قال أبو داود حسن الإسناد مقطوع، انظر أبو داود (د.ت) المرجع نفسه، كتاب السنة، باب لزوم السنة، رقم الحديث: 4614، ج2، ص614،.

([135]) قال أبو داود صحيح الإسناد مقطوع، انظر أبو داود (د.ت) المرجع نفسه، كتاب السنة، باب لزوم السنة، رقم الحديث: 4615، ج2، ص615.

رجاء بن سلمة، عن ابن عون، عن ابن سيرين قيل له في الحسن: وما كان ينحل إليه أهل القدر ؟ قال: كانوا يأتون الشيخ بكلام مجمل، لو فسره لهم لساءهم[136].

ويمكن الرد على دعواهم في انتساب الحسن إليهم من خلال النقاط الآتية:

أولاً: إنّ المعتزلة أنفسهم لا يقطعون بنسبة الحسن إليهم، ولذا نرى ابن المرتضى لما ذكر الحسن وقوله في القدر قال: "فإن قلت فقد روى أيوب، أتيت الحسن، فكلمته في القدر فكف عن ذلك، قلت: قد روي أنه خوَّفه بالسلطان فكف عن الخوض فيه... وهل يخاف الحسن السلطان، وهو الرجل الذي يجهر بالحق دائماً؟ [137]"، والرواية عند الذهبيّ عن حماد بن زيد، عن أيوب، قال: كذب على الحسن سربان من الناس: قوم القدر رأيهم لينفقوه في الناس بالحسن، وقوم في صدورهم شنآن وبغض للحسن. وأنا نازلته غير مرة في القدر حتى خوفته بالسلطان، فقال: لا أعود فيه بعد اليوم. فلا أعلم أحداً يستطيع أن يعيب الحسن إلا به، وقد أدركت الحسن – والله – وما يقوله" [138].

ثانياً: أما بالنسبة للرسالة المنسوبة إليه، فيقول عنها الشهرستانيّ: "ورأيت رسالة نسبت إلى الحسن البصريّ كتبها إلى عبد الملك بن مروان، وقد سأله عن القول بالقدر والجبر، فأجابه فيها بما يوافق مذهب القدرية، واستدل فيها بآيات من القرآن الكريم ودلائل من العقل، ولعلها لواصل بن عطاء، فما كان الحسن ممن يخالف السلف في أنَّ القدر خيره وشره من الله تعالى، فإنَّ هذه الكلمات كالمجمع عليها عندهم، وهذه الرسالة لم تصح نسبتها إلى الحسن، والمعتزلة ينسبون إلى الحسن أقوالاً بروايات منقطعة، فالمرتضى حين ذكر أهل العدل والتوحيد عدّ منهم الحسن البصري، وترجم له ترجمة طويلة، ولما أراد أن يثبت أنه من أهل العدل قال: "فمن تصريحه بالعدل، ما

([136]) انظر الذهبي (1993) المرجع نفسه، ج4، ص581.

([137]) انظر أحمد بن يحيى بن المرتضى (1316 هـ) المنية والأمل (تح: نوما أرنولد) بيروت: لبنان، ص12.

([138]) الذهبي (1993) المرجع نفسه، ج4، ص580.

رواه علي بن الجعد قال: سمعت الحسن يقول: من زعم أنَّ المعاصي من الله عزّ وجلّ جاء يوم القيامة مسودّاً وجهه، وقرأ: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ}[سورة الزمر (39): 60] " [139]، وعلي بن الجعد الذي يقول سمعت الحسن لم يسمع منه، و لم يلقه، فهذه رواية منقطعة.

ثالثاً: يذكر ابن قتيبة عن الحسن البصريّ أنَّه تكلم في شيء من القدر ثم رجع عنه، ولكنه يذكر بعد ذلك مباشرة أنَّ عطاء بن يسار، ومعبداً الجهني كانا يأتيان الحسن، فيسألانه ويقولان: يا أبا سعيد إنَّ الملوك يسفكون دماء المسلمين، ويأخذون الأموال، ويفعلون ويفعلون، ويقولون: إنما تجري أعمالنا على قدر الله، فقال، كذب أعداء الله، قال ابن قتيبة: "فتعلق عليه بمثل هذا وأشباهه" [140].

فالمعتزلة يفسرون قوله بما يدل سياق كلامهم له على أنَّه منهم، وذلك ما أورده عبد الجبار الهمدانيّ في معرض وصمه لأهل السنة بأنهم قدرية، حيث قال: "وروي عن الحسن – رحمه الله – أنَّه كان يقول: إنَّ الله تعالى بعث محمداً – صلى الله عليه وسلم – إلى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله ويقولون: إنَّ الله سبحانه قد شاء ما نحن فيه، وحملنا عليه وأمرنا به، فقال عزّ وجلّ: {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آَبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}[سورة الأعراف (7): 28]، فهل دلّ كلام الحسن في الروايتين على أنّه قدريّ؟ والجواب طبعاً لا.

رابعاً: هناك روايات تنفي هذا الزعم، فقد روى ابن سعد: " أخبرنا أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقي قال، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الرجال، عن عمر مولى غفرة قال: كان أهل القدر ينتحلون الحسن بن أبي الحسن، وكان قوله مخالفاً لهم، كان يقول: يا

([139]) انظر ابن المرتضى (1316 هـ) المنية والأمل، مرجع سابق، ص12.

([140]) سالم عبد الله الدخيل (1981) **القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه** ، الرياض: السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، العقيدة والمذاهب المعاصرة، رسالة ماجستير، ص187.

ابن آدم لا ترض أحداً بسخط الله ولا تطيعن أحداً في معصية الله، ولا تحمدن أحداً على فضل الله، ولا تلومنَّ أحداً فيما لم يؤتك الله، إنَّ الله خلق الخلق والخلائق، فمضوا على ما خلقهم عليه، فمن كان يظن أنَّه مزداد بحرصه في رزقه فليزدد بحرصه في عمره، أو يغير لونه، أو يزيد في أركانه أو بنائه"[141].

خامساً: معلومٌ أنَّ المعتزلة أجمعوا على أصولهم الخمسة، والحسن البصري يعدُّ القول بالمنزلة بين المنزلتين بدعة تخرج صاحبها عن عقيدة الحق، ولذلك اعتزل واصل بن عطاء حلقة الحسن لما خالفه في هذا الأصل، فكيف مع هذا يعدُّون الحسن من علمائهم، المنتسبين إليهم؟ قد يقال: إنَّ الحسن وافقهم في القدر لا في المنزلة بين المنزلتين، وهذا أكبر دليل على أنّ غرضهم هو التشرف بانتسابه إليهم، وإلا فكيف عدوه منهم و لم يقل بأصولهم كلها؟ والمعتزلة ذكروا مع الحسن غيره، بل وعدوا من الطبقة الأولى من طبقاتهم الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة، وواضح أن إدراج هؤلاء ضمن المعتزلة إنما قصد به بيان أنَّ المعتزلة هي أتقى الفرق وأبرها.

سادساً: اشتهر عن بعض المعتزلة القدرية أنَّهم يَكذِبون على الحسن البصريّ، فقد ذكر عبد الله بن أحمد في كتاب السنة روايات عدة تدل على ذلك، فمن ذلك ما رواه عن حميد قال: "قدم الحسن مكة، فقال فقهاء مكة، الحسن بن مسلم وعبد الله بن عبيد: لو كلمت الحسن فأخلانا يوماً، فكلمتُ الحسن فقلتُ: يا أبا سعيد، إخوانك يحبون أنْ تجلس لهم يوماً، قال: نعم ونعمة عين، فواعدهم يوماً فجاءوا فاجتمعوا، وتكلم الحسن وما رأيته قبل ذلك اليوم ولا بعده أبلغ منه ذلك اليوم، فسألوه عن صحيفة طويلة، فلم يُخطِّئ فيها شيئاً إلا في مسألة، فقال له رجل: يا أبا سعيد من خلق الشيطان؟ قال: سبحان الله، سبحان الله، وهل من خالق غير الله، ثم

([141]) ابن سعد (1968) **الطبقات الكبرى**، مرجع سابق، ج7، ص175.

قال: إنَّ الله خلق الشيطان وخلق الشر والخير، فقال رجل منهم: قاتلهم الله يكذبون على الشيخ"[142]..

فهذه الرواية وغيرها تدل على أنَّ دعوى انتساب الحسن البصريّ – رحمه الله – إلى المعتزلة أو أنَّه كان قدرياً، أو كان يقول بقولهم ليست صحيحة.

والأخبار في رجوع الحسن عن القدر مستفيضة جداً، اهتم أئمة السنة بإثباتها، للدفاع عن هذا الإمام الجبل، فقد ذيّل أبو داود في (سننه) بثلاثة عشر أثراً عن الحسن البصريّ، يثبت بها أنّه على السنة في إثبات القدر [143].

وخص اللالكائي أيضاً أقوال الحسن البصريّ في إثبات القدر بعنوان في كتابه: (شرح أصول اعتقاد أهل السنة) [144]، منها ما رواه عن الحسين بن الحسن المخزوميّ أنّه قال: "ثنا سويد بن سعيد قال ثنا مروان بن معاوية عن عاصم قال: سمعت الحسن يقول في مرضه الذي مات فيه: إنّ الله قدّر أجلاً وقدّر معه مرضاً، وقدّر معه معافاة، فمن كذَّب بالقدر فقد كذّب بالقرآن ومن كذّب القرآن فقد كذّب بالحق" [145].

وروى عن عبد الرحمن بن عبد الله أنّه قال: "ثنا أحمد بن سليمان ثنا إبراهيم بن إسحاق وجعفر بن محمد قالا ثنا قتيبة قال ثنا حماد بن زيد عن عوف قال: سمعت الحسن يقول: من كذب بالقدر فقد كذب بالإسلام، ثم قال: إنّ الله خلق خلقاً فخلقهم بقدر، وقسم الأرزاق بقدر، والبلاء والعافية بقدر" [146].

([142]) انظر أبا داود (د.ت) سنن أبي داود، المرجع نفسه، كتاب السنة، باب لزوم السنة، رقم الأثر: 4618، ج2، ص615.

([143]) انظر أبا داود (د.ت) المرجع نفسه، كتاب السنة، باب لزوم السنة، ج2، ص615،616، رقم الحديث 4614-4626.

([144]) انظر اللالكائيّ (د.ت) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، ج2، ص680، وما بعدها.

([145]) اللالكائيّ (د.ت) المرجع نفسه، ج2، ص 682.

([146]) اللالكائيّ (د.ت) المرجع نفسه، ج2، ص 682.

وذكر الذهبيّ في كتابه: (تاريخ الإسلام) غل ط من نسبه إلى القدر، ثم ذكر الأقوال والأخبار الدالة على ذلك في الباب الذي ترجم فيه للحسن البصريّ، قال فيه: ذكر[147].

ورغم هذه الإدعاءات والاتهامات التي نسبت إليه إلا أنه بقي قدوة للمسلمين، وإماماً لا يختلف عليه، وحامل لواء الزهد والورع، والعلم واليقين.

([147]) الذهبيّ (1987) تاريخ الاسلام للذهبيّ، مرجع سابق، ج7، ص59، وما بعدها.

المبحث الخامس: وفاته.

توفي الحسن البصريّ في البصرة عن عمر يناهز الثماني والثمانين سنة، وكان ذلك ليلة الجمعة في أول رجب من سنة عشر ومائة[148].

قال خالد بن خداش: حدثنا صالح المريّ، عن يونس، قال: لما حضرت الحسن الوفاة جعل يسترجع، فقام إليه ابنه فقال: يا أبت قد غممتنا، فهل رأيت شيئاً، قال: هي نفسي لم أصب بمثلها.

ويروى أنه أغمي عليه ثم أفاق إفاقة فقال: لقد نبهتموني من جنات وعيون، ومقام كريم.

وقال هشام بن حسان: كنا عند محمد عشية يوم الخميس، فدخل عليه رجل بعد العصر فقال: مات الحسن، فترحم عليه محمد وتغير لونه وأمسك عن الكلام، فما تكلم حتى غربت الشمس، وأمسك القوم عنه مما رأوا من وجده عليه [149].

وكانت جنازته مشهودة، وصُلي عليه عقب صلاة الجمعة بالبصرة، فشيع ه الخلق، وازدحموا عليه، واشغلوا به، فلم تقم صلاة العصر بالجامع، و لم يعلم أنها تركت منذ كان الإسلام إلا يومئذ، لأنهم تبعوا كلهم الجنازة، حتى لم يبق بالمسجد من يصلي العصر رحمه الله[150].

قال أبو الهلال: كنت عند قتادة فجاء الخبر بموت الحسن فقل ت: لقد كان غمس في العلم غمسة، فقال قتادة: بل نبت فيه وتحقبه وشربه، والله لا يبغضه إلا حروريّ[151].

([148]) انظر الذهبيّ (1987) تاريخ الإسلام، مرجع سابق، ج7، ص 62، 63.

([149]) انظر الذهبيّ (1993) مرجع سابق، ج4، ص587.

([150]) انظر ابن خلكان (1900) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، مرجع سابق، ج 2، ص 72.

([151]) انظر الذهبيّ (1993) مرجع سابق، ج4، ص587.

الفصل الثالث

مرويا ت التفسير عند جابر بن زيد والحسن البصريّ

المبحث الأول: مروياهما في علوم القرآن.

المبحث الثاني: مروياهما في الجانب العقدي.

المبحث الثالث: مروياهما في الجانب الفقهي.

– مرويا ت التفسير عند جابر بن زيد والحسن البصريّ.

سبق أنْ أشرت في التمهيد إلى المراحل التي مرّ بها التفسير، وأنّ مرحلة التابعين الذين تلقوا جلّ علومهم من الصحابة – رضوان الله عليهم — كانت من أهم تلك المراحل في التأسيس والتأصيل له ليأخذ فيما بعد الريادة على سائر العلوم الإسلامية، فكان أم العلوم الإسلامية، وأشرفها، ورأسها على التحقيق باعتباره أولها ظهوراً، إذ ظهر الخوض فيه كما مرّ بنا في مراحل تطوره في عصر النبي – صلى الله عليه وسلم – ثم اشتهر فيه بعض من الصحابة كعلي بن أبي طالب، وابن عباس– رضي الله عنه–وهما أكثر الصحابة قولاً في التفسير، وشاع عن التابعين، وكان من أشهرهم وأبرزهم في هذا العلم جابر بن زيد والحسن البصري.

فقد كان التفسير قبل عصر التدوين يتناقل بين مريديه بطريق الرواية، فالصحابة يروون عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم — كما يروي بعضهم عن بعض، والتابعين يروون عن الصحابة، كما يروي بعضهم عن بعض، وهذه هي الخطوة الأولى للتفسير، فلم يفرد له تأليف خاص يفسر القرآن سورة سورة وآية آية، من مبدئه إلى منتهاه، بل وجد من العلماء من طوّف في الأمصار المختلفة ليجمع الحديث، فجمع بجوار ذلك ما روى في الأمصار من تفسير منسوب إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – أو إلى الصحابة أو إلى أقرانهم من التابعين[152].

وتعدُّ المصنفات أو المرويات عن الصحابة والتابعين في التفسير من أقلَّ المحفوظات في أبواب العلوم الشرعية، فهي عبارة عن أقوال أو صحف يروونها عن بعض، وليست محفوظاتٍ تُحْفَظ في الصدور، ورغم أنَّ هناك نُسَخاً تُروى عن

([152]) انظر الذهبي (2000) التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ج1، ص104.

بعضهم، واشتهرت [153]، إلا أنّ هذه الصحف أو الأقوال تُروى وتُحْمل إنَّ كان الراوي لها غير متهمًا بالكذب؛ لأنّه يحمل على أنه يُحدِّث من هذه الصحف، فقد ظل التفسير في عصر التابعين محتفظاً بطابع التلقي والرواية، إلا أنه لم يكن تلقياً وراوية بالمعنى الشامل كما هو الشأن في عصر النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين، بل كان تلقياً ورواية يغلب عليها طابع الاختصاص، فأهل كل مصر يعنون – بوجه خاص – بالتلقي والرواية عن إمام مصرهم، فالمكيون عن ابن عباس، والمدنيون عن أُبي بن كعب، والعراقيون عن ابن مسعود وهكذا [154].

فالأئمة يُطلقون القول بتضعيف الراوي، ويريدون بذلك غالباً رواياتِه في الأحكام في الحلال والحرام، وعند العمل والاحتجاج يفرِّقون؛ لأنَّ الأحكام هي المقصودة من الجرح والتعديل، لذا روى الخطيب في (الجامع) عن يحيى بن سعيد قال: "تساهلوا في أخذ التفسير عن قوم لا يوثِّقونهم في الحديث، ثم ذكر ليثَ بن أبي سُلَيْم وجُوَيبر بن سعيد والضَّحاك ومحمد بن السائب، وقال: هؤلاء لا يُحْمَد أمرُهم، ويكتب التفسيرُ عنهم"[155]، فإذا تضمَّنت الرواية حكمًا شرعيًا في الحلال والحرام؛ فإنه يُشَدَّدُ في ذلك، وإلا فالأصل أنَّها لا تتضمَّن، وإنما طريقُها هو تفسير ذلك المعنى الواردِ في كلام الله، وفي الغالب فإن مرويات الأحكام في التفسير إذا كانت مرفوعةً لا تخلو كتبُ الأحكام منها وبيان حكمها، وكذلك الموقوفات والمقطوعات إذا كانت فرداً في

([153]) كتفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وتفسير عطيةَ العوفي عنه، وتفسير السُّدي عن أشياخه، وتفسير قتادة الذي يرويه عنه معمر بن راشد، وسعيد بن أبي عروبة، وتفسير الضَّحاك بن مُزاحم، وكذلك تفسير مجاهد بن جَبْر الذي يرويه عنه القاسم بن أبي بَزَّة وغيرهم.

([154]) انظر الذهبيّ (2000) التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ج1، ص104.

([155]) انظر الخطيب البغدادي (1403هـ) **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع** (تح: محمود الطحان) الرياض: المملكة السعودية، مكتبة المعارف، ط1، ج4، ص328.

الباب، فإنَّ جُلَّ مرويات التفسير هي من الموقوفات والمقطوعات ، والنُّقاد يتساهلون في الموقوف والمقطوع ما لا يتساهلون في المرفوع[156].

ولعل سبب عدم اشتهار بعض التابعين في التفسير وتخصيصه بالتأليف، وكثرة الرواية فيه كما هو الأمر عند الإمام جابر بن زيد والحسن البصريّ، هو ضياع تلك الصحف والمدونات التي ضمنوها أقوالهم وآرائهم، فقد أكد الكثير من المؤرخين ضياع ديوان جابر الذي ضمنه أقواله ومروياته سواء في التفسير أو في غيره، وروي عن عبد الله بن الحسن البصريّ أنّ أباه الحسن البصريّ قد أحرق سائر كتبه كما سبق أن أشرنا، و قد اشتهر وعُرف عن كثير من الأئمة والرواة أنّه قد اختصَّ بباب من الأبواب، وامتاز به، وقُدِّم على من هو أثبتُ منه بالحفظ والرواية، وأظهر في باب الديانة والصلاح؛ فعِلْم القراءات مثلاً الأئمةُ فيه من الكبار، ومنهم من لا تُقْبَل روايتُه في أحاديث الأحكام، وإن كان هو من الأئمة الثقات في غير هذا الباب، يقول الخطيب: " إنَّ التفسير يتضمن أحكاماً طريقها النقل فيلزم كالحديث ويجب حفظه إلا أن العلماء قد احتجوا في التفسير بقوم لم يحتجوا بهم في مسند الأحاديث المتعلقة بالأحكام وذلك لسوء حفظهم الحديث وشغلهم بالتفسير فهم بمثابة عاصم بن أبي النجود [157]، حيث احتج به في القراءات دون الأحاديث المسندات لغلبة علم القرآن عليه فصرف عنايته إليه"[158].

([156]) انظر الحاكم النيسابوري (2003) **معرفة علوم الحديث**، مرجع سابق، ص148.

– وانظر ابن الصلاح (د.ت) **علوم الحديث**، مرجع سابق، 50، 58، وما بعدها

([157]) عاصم بن أبي النجود (...– 127 هـ) بمدلة الكوفي الأسدي بالولاء، أبو بكر: أحد القراء السبعة.تابعي، من أهل الكوفة، ووفاته فيها. كان ثقة في القراءات، صدوقا في الحديث. قال ابن سعد كان ثقة إلا انه كان كثير الخطأ في حديثه، وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه كان رجلا صالحا قارئا للقرآن، وأهل الكوفة يختارون قراءته وأنا اختارها، وكان خيرا ثقة، والأعمش أحفظ منه، وكان شعبة يختار الأعمش عليه في ثبت الحديث، وقال أيضا عاصم صاحب قرآن وحماد صاحب فقه وعاصم أحب إلينا، وقال ابن معين لا بأس به وقال العجلي كان صاحب سنة وقراءة وكان ثقة رأسا في القراءة، وقال يعقوب بن سفيان في حديثه اضطراب وهو ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات. انظر ابن حجر العسقلاني (1984) مرجع سابق،ج5، ص35، 36.

([158]) انظر الخطيب البغدادي (1403هـ) **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع** ، مرجع سابق، ج4، ص327.

وكذلك الأمر مع حفص بن سليمان [159]، فقد كان إماماً في القراءات إلا أنَّه كان متروك الحديث [160]. فالاختصاص في فن من الفنون معروف، وعناية بعض الرواة بعلمٍ دون غيره مشهورةٌ، بل قد يُعرف بعض الرواة في باب ولا يعرف بآخر مطلقاً، كعثمانَ بن سعيدٍ المعروف بوَرْشٍ، وهو أحد الرُّواة عن نافع في القراءات، ليس بمعروف برواية الحديث مطلقاً ، وقد يختص بعضهم في باب من الأبواب، ويعتني به، ويستفر غ وُسْعه، فيُقدَّم على غيره فيه، وإن كان أوسع علماً وأكبر فضلاً منه؛ فمجاهد بن جبر يُقدَّم في التفسير على غيره من كبار التابعين، وليس هو بأجلِّهم ولا بأعلَمِهم في الدين؛ لأنه مختصٌّ بالتفسير، و لذلك قدَّمه الأئمة على غيره؛ فهذا ابن جرير الطبري قد اعتمد في التفسير على مرويات مجاهد، بل لو قيل: إن المرويات عن التابعين في تفسير ابن جرير الطبري ثلثاها عن مجاهد بن جبر ما كان ذلك بعيدًا ؛ ولذلك قد حوى تفسير ابن جرير الطبري عِلْم مجاهدِ بن جبر بالجملة، ولا يكاد يَندُّ عنه إلا القليلُ؛ ولأجل هذا الاختصاص فاق غيره وقُدِّم عليه[161].

وقد احتل الإمام جابر مكانة مرموقة بين علماء الإسلام العارفين بالقرآن الكريم، ويدل على ذلك اعتماد مجموعة من المفسرين على أقواله واحتجاجهم بها، ووثقوا برأيه في هذا المجال.

([159]) حفص بن سليمان الأسديّ أبو عمر البزاز الكوفيّ القاري ويقال له الغاضريّ، ويعرف بحفيص، وقيل اسم جده المغيرة وهو حفص بن أبي داود قرأ على عاصم بن أبي النجود وكان ابن امرأته، وكان بصرياً من القراء قال أبو عمر أصح قراءة من أبي بكر بن عياش، وأبو بكر أوثق منه، وقال عثمان الدارمي وغيره عن ابن معين ليس بثقة، وقال ابن المديني ضعيف الحديث، وتركته على عمد، وقال الجوزجاني قد فرغ منه من دهر، وقال البخاري تركوه، وقال مسلم متروك، وقال النسائي ليس بثقة ولا يكتب حديثه، وقال في موضع آخر متروك الحديث، قيل انه مات سنة 180، وله تسعون سنة، وقيل قريبا من سنة تسعين قاله: أبو عمرو الداني ، وقال قال وكيع: كان ثقة أخرج النسائي حديثه في مسند علي متابعةً. انظر ابن حجر العسقلانيّ (1984) مرجع سابق،ج2، ص345، 346.

([160]) انظر ابن حجر العسقلانيّ (1984) المرجع نفسه، ج2، ص345،346.

([161]) انظر محمد الفاضل ابن عاشور (1999) **التفسير ورجاله**، مرجع سابق، ص27، 28.

- وانظر الذهبيّ (2000) **التفسير والمفسرون**، مرجع سابق، ج1، ص 82،81،80،105.

فمن ذلك ما أورده السيوطيّ من أنَّ جابر بن زيد من علماء التابعين بالقرآن [162]، ونقل ابن حجر عن بن حبان : أنه كان من أعلم الناس بكتاب الله [163].

وقد اعتمد الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير رواية جابر بن زيد بالنسبة لترتيب المصحف في نزول السور المكية والسور المدنية، والتي اعتمدها من قبله الجعبريّ في منظومته التي سماها تقريب المأمول في ترتيب النزول، وذكرها السيوطيّ في الإتقان[164].

ومن خلال مراجعة كتب التفسير تبين أنَّ جابراً كان أيضاً من أصحاب القراءات، فقد كانت له قراءات متعددة، وكان الاتجاه العام في تفسيره للآيات الجنوح إلى المأثور المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، والميل إلي المدلول اللغوي[165].

أما الإمام الحسن بن يسار البصري، فهو من العلماء الأفذاذ في هذا العلم، وقد عدّه ابن عطية فيمن ذكرهم من أبرز التابعين في التفسير فقال:" ومن المبرزين في التابعين الحسن بن أبي الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وعلقمة"[166].

ونقل عن الحسن البصريّ تفسير لكثير من آيات القرآن الكريم، رواها المفسرون وبخاصة من عني منهم بالتفسير بالمأثور، كأبي جعفر الطبري رحمه الله تعالى الذي"جمع على الناس أشتات التفسير وقرب البعيد وشفى في الإسناد"[167].

ومن هنا يتضح لنا جلياً موقف كلاً منهما من التفسير، وأنهما ساهما فيه إسهاما كبيراً، فكان موقفهم ا موقفاً راسخ القدم، وكان لهما باع طويل في ذلك، ويظهر هذا جلياً بما روي عنهما في الكثير من آيات التفسير، واعتمد عليهما كعالمين

([162]) انظر جلال الدين السيوطي (1368) **الإتقان في علوم القرآن**، القاهرة: مصر، مطبعة حجازي، د.ط، ج4، ص26.

([163]) ابن حجر العسقلاني (1984) **تهذيب التهذيب**، مرجع سابق، ج2، ص34.

([164]) انظر ابن عاشور (2006) المرجع نفسه، ج1، ص90.

([165]) انظر البكوش (1986) مرجع سابق، ص39.

([166]) انظر ابن عطية (1993) مرجع سابق، ج1، ص 43.

([167]) انظر ابن عطية (1993) المرجع نفسه، ج1، ص 43.

موثوق في روايتهما، ويؤكد لنا ما عرفنا ه أنهما يعتمدان على التفسير بالمأثور، بل ويتفقان في الرواية به.

وفيما يلي عرض لمرويات الإمامين في التفسير، ويمكن تقسيم هذه المرويات على النحو الآتي:

المبحث الأول: مروياتهما في علوم القرآن.

المبحث الثاني: مروياتهما في الجانب العقدي.

المبحث الثالث: مروياتهما في الجانب الفقهي.

المبحث الأول: مروياتهما في علوم القرآن.

علوم القرآن باعتبارها مركب إضافي، لها معنيان: أحدهما: لغوي يُفهم من هذا التركيب الإضافي بين : "علوم" و"القرآن" وهو أنها العلوم والمعارف المتصلة بالقرآن الكريم، سواء كانت خادمة للقرآن بمسائلها أو أحكامها أو مفرداتها، أو أن القرآن دل على مسائلها، أو أرشد إلى أحكامها.

فالمعنى اللغوي لعلوم القرآن يشمل كل علم خدم القرآن، أو أُخذ من القرآن، كعلم التفسير، وعلم التجويد، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم الفقه الإسلامي، وعلم التوحيد، وعلم الفرائض، وعلم اللغة وغير ذلك.

وعلوم القرآن باعتبارها عَلَماً على عَلَم مدون هي: علم يضم أبحاثاً كليةً هامةً، تتصل بالقرآن من نواحٍ شتى، يمكن اعتبار كل منها علماً متميزاً.

ولعل السر في تسميتها بعلوم القرآن لا علم القرآن، أنها تتكون من مجموعة علوم خادمة للقرآن هي علوم تتألف من مباحث، هذه المباحث تتعلق بالقرآن الكريم، من ناحية نزوله، كمعرفة أول مانزل منه وآخر ما نزل، أو من حيث أسباب نزول بعض آياته، أو ما نزل منه قبل الهجرة، ويسمى بالقرآن المكي، أو مانزل بعد الهجرة ويسمى بالقرآن المدني ، أو من ناحية كتابته، وجمعه، ورسمه، أو من جهة إعجازه، وأسلوبه، وأمثاله، وقصصه، أومن ناحية تفسيره، وتوضيح ألفاظه، ومعانيه، كعلم القراءات والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وكل ما يتعلق بالأمر والنهي والمجمل والمبين والمطلق والمقيد والخاص والعام... وكل علم من هذه العلوم المتنوعة، قد ألفت فيها مؤلفات بعضها مختصر، وبعضها مفصل تفصيلاً واسعاً ضخماً، وقد كان للعالمين الجليلين جابر بن زيد والحسن البصريّ مروياتهما في هذه العلوم الحظ الأوفر، فكانت مروياتهما في التفسير تعتمد عل ى وسائل عدة أهمها اللغة وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغيره من هذه العلوم التي حاولت حصرها في هذا المبحث، هي كالآتي:

أولاً: علوم القرآن عند جابر بن زيد.

سبق أن بيّنا مكانة جابر بن زيد العلمية خاصة فيما يتعلق بالقرآن وعلومه، كما شهد له بذلك شيخه ابن عباس–رضي الله عنهما– في قوله: "لو نزل أهل البصرة بجابر لأوسعهم علماً من كتاب الله عزّ وجلّ" [168]، وفي رواية " لوسعهم علماً عما في كتاب الله عز وجل" [169]، وقد وصفه السيوطي بأنه: من علماء التابعين بالقرآن [170]، ووصفه ابن حجر العسقلاني بأنّه: من أعلم الناس بكتاب الله[171].

ورغم مكانة الإمام جابر في هذا العلم، ومع أهمية أقواله وآرائه فيه، إلا أنّه لم يصلنا منه كتاباً مستقلاً في علوم القرآن ، ويبدوا أنه ضمنها ودونها في ديوانه الضخم الذي ضاع، وقد حفظت لنا كتب التفسير والسنن والتراجم بعضاً من أقواله في ذلك، فقد روى ابن كثير، وأبو نعيم الأصفهاني عن أحمد بن حنبل قوله: " حدثنا أبو عبد الصمد العمى، قال حدثنا مالك بن دينار قال: دخل علي جابر بن زيد وأنا أكتب المصحف فقلت له: كيف ترى صنعتي هذه يا أبا الشعثاء؟ قال: نِعْمَ الصنعة صنعتك، تنقل كتاب الله ورقة إلى ورقة، وآية إلى آية، وكلمة إلى كلمة، هذا الحلال لا بأس به" [172].

وقد كان له رأي خاص به بالنسبة لترتيب نزول سور القرآن الكريم، فقد أورد ابن عاشور في المقدمة الثامنة من مقدمات تفسيره اختلاف العلماء في ترتيب نزول السور المكية، ونزول السور المدنية، على ثلاث روايات إحداها: لمجاهد عن ابن

([168]) أبو نعيم (د.ت) حلية الأولياء، مرجع سابق، ج3، ص205.

([169]) أبو نعيم (د.ت) المرجع نفسه، ج3، ص206.

([170]) انظر السيوطي (1368) الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج4، ص26.

([171]) ابن حجر العسقلاني (1984) تهذيب التهذيب، مرجع سابق، ج2، ص34.

([172]) ابن كثير (1988) البداية والنهاية، مرجع سابق، ج9، ص112.

– وانظر أبو نعيم (د.ت) مرجع سابق، ج3، ص206.

عباس، والثانية: عن عطاء الخراسانيّ عن ابن عباس أيضاً، والثالثة عن جابر بن زيد، ولا تكون إلا عن ابن عباس، وهي التي اعتمدها الجعبريّ في منظومته التي سماها تقريب المأمول في ترتيب النزول، وذكرها السيوطي في الإتقان [173]، واعتمدها ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير [174].

ونظراً لاقتصار البحث على ما رواه الطبريّ عن جابر من مرويات في التفسير، وما نقله القرطبيّ في تفسيره من أقوال وآراء في مسائل تتعلق بالقرآن وعلومه، فسأكتفي بالإشارة إلى ما رواه غيرهم من المفسرين عن جابر من مرويات في التفسير غفل عنها كل منهما، فقد كانت أغلب المرويات التي رواها الطبريّ والقرطبيّ تتعلق بالتفسير لبعض الآيات، و لم يرووا عنه في القراءات، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، إلا القليل.

([173]) قال السيوطيّ: " وقال أبو بكر محمد بن الحارث بن أبيض في جزئه المشهور: حدثنا أبو العباس عبيد الله بن محمد بن أعين البغدادي، حدثنا حسان بن إبراهيم الكرمانيّ، حدثنا أمية الأزديّ عن جابر بن زيد قال: أول ما أنزل الله من القرآن بمكة اقرأ باسم ربك ثم ن والقلم ثم يا أيها المزمل ثم يا أيها المدثر ثم الفاتحة ثم تبت يدا أبي لهب ثم إذا الشمس كورت ثم سبح اسم ربك الأعلى ثم والليل إذا يغشى ثم والفجر ثم والضحى ثم ألم نشرح ثم والعصر ثم والعاديات ثم الكوثر ثم ألهاكم ثم أرأيت الذي يكذب ثم الكافرون، ثم ألم تر كيف ثم قل أعوذ برب الفلق ثم قل أعوذ برب الناس ثم قل هو الله أحد ثم والنجم ثم عبس ثم إنا أنزلناه ثم والشمس وضحاها ثم البروج ثم والتين ثم لإيلاف ثم القارعة ثم القيامة ثم ويل لكل همزة ثم والمرسلات ثم ق ثم البلد ثم الطارق ثم اقتربت الساعة ثم ص ثم الأعراف ثم الجن ثم يس ثم الفرقان ثم الملائكة ثم كهيعص ثم طه ثم الواقعة ثم الشعراء ثم طس سليمان ثم طسم القصص ثم بني إسرائيل ثم التاسعة يعني يونس ثم هود ثم يوسف ثم الحجر ثم الأنعام ثم الصافات ثم لقمان ثم سبأ ثم الزمر ثم الغاشية ثم الكهف ثم حمعسق ثم تنزيل السجدة ثم الأنبياء ثم النحل أربعين وبقيتها بالمدينة ثم إنا أرسلنا نوحاً ثم الطور ثم المؤمنون ثم تبارك ثم الحاقة ثم سأل ثم عم يتساءلون ثم والنازعات ثم إذا السماء انفطرت ثم إذا السماء انشقت ثم الروم ثم العنكبوت ثم ويل للمطففين فذاك ما أنزل بمكة، وأنزل بالمدينة سورة البقرة ثم آل عمران ثم الأنفال ثم الأحزاب ثم المائدة ثم الممتحنة ثم إذا جاء نصر الله ثم النور ثم الحج ثم المنافقون ثم المجادلة ثم الحجرات ثم التحريم ثم الجمعة ثم التغابن ثم سبح الحواريين ثم الفتح ثم التوبة ثم خاتمة القرآن. قلت: هذا سياق غريب وفي هذا الترتيب نظر. وجابر بن زيد من علماء التابعين بالقرآن، وقد اعتمد البرهان الجعبريّ على هذا الأثر في قصيدته التي سماها: تقريب المأمول في ترتيب النزول " عبد الرحمن السيوطي (1996) **الإتقان في علوم القرآن** (تح: سعيد المندوب) بيروت: لبنان، دار الفكر،ط1، ج1، ص77، 78.

([174]) ابن عاشور (1997) التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج1، ص90.

أ- في التفسير.

1 -في معنى قوله تعالى: { إِنَّهُ لَقُرْآَنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ}[سورة الواقعة (56): 78].

فسّر جابر بن زيد رحمه الله معنى الكتاب المكنون بأنه كتاب في السماء، فقد أخرج الطبريّ عن ابن حُميد أنه قال: " ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبيد الله، يعني العتكيّ، عن جابر بن زيد وأبي نهيك، في قوله:{فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ} قال: هو كتاب في السماء" [175].

وذكر القرطبيّ عند تفسيره لهذه الآية أنّ الكتاب هنا كتاب في السماء، ونسب القول إلى ابن عباس فقط، ثم قال: " وقال جابر بن زيد وابن عباس أيضاً: هو اللوح المحفوظ"[176].

2 -في معنى قوله سبحانه وتعالى: { تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ}[سورة الأحقاف(46):16].

فسّر جابر بن زيد: {تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} بالقرآن الكريم، نزّله رب العالمين من الكتاب المكنون، فقد أخرج ابن جرير الطبريّ عن ابن حُميد أنه قال: " ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبيد الله العتكيّ، عن جابر بن زيد وأبي نهيك، في قوله: {تَنزيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} قال: القرآن من ذلك الكتاب، أراد أن هذا القرآن تنزيل من رب العالمين، نزله من الكتاب المكنون"[177].

([175]) الطبريّ (2000) جامع البيان في تأويل القرآن (تح: أحمد محمد شاكر) بيروت: لبنان، مؤسسة الرسالة، ط1، ج23، ص150.

([176]) انظر القرطبيّ (1985) مرجع سابق، ج17، ص224.

([177]) الطبريّ (2000) مرجع سابق، ج23، ص152.

3 -في معنى اسم الله (السَّلَامُ) الوارد في قوله تعالى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ}[سورة الحشر (59): 23].

أخرج الطبريّ عن ابن حُمَيْد تفسير جابر بن زيد لقوله:(السَّلامَ) بأنه الله، فقال: "حدثنا ابن حُمَيْد، ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبيد الله، يعني العَتكيّ، عن جابر بن زيد قوله: (السَّلامَ) قال: هو الله" [178].

4 -في معنى قوله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [سورة المائدة(5):105].

نقل القرطبيّ عن جابر بن زيد تفسير قوله تعالى: { عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ} أي في الاستقامة في الدين، لا يضركم ضلال الأسلاف إذا اهتديتم، فقال: "قال جابر بن زيد: معنى الآية: يا أيها الذين آمنوا من أبناء أولئك الذين بحروا البحيرة وسيبوا السوائب، عليكم أنفسكم في الاستقامة على الدّين، لا يضركم ضلال الأسلاف إذا اهتديتم" [179]

5 -في معنى الجوار الكنس الوارد في قوله سبحانه وتعالى:{ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ}[سورة التكوير(81):15].

في معنى الجوار الكنس قا ل الطبريّ: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني جرير بن حازم، قال: ثني الحجاج بن المنذر، قال: سألت أبا الشَعثاء جابر بن زيد عن الجواري الكنس، قال: هي البقر إذا كَنَست كوانسها [180]، ثم بين معنى

([178]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج23، ص302.

([179]) القرطبيّ (1985) ج6، ص344.

([180]) الطبريّ (2000) مرجع سابق، ج24، ص235.

قول جابر كَنَست كوانسها، فقال: " قال يونس: قال لي عبد الله بن وهب: هي البقر إذا فرّت من الذئاب، فذلك الذي أراد بقوله: كنست كوانسها"[181].

وأورد القرطبيّ رواية أخرى لجابر عن الحجاج بن منذر، فقال: "وعن الحجاج بن منذر قال: سألت جابر بن زيد عن الجواري الكنس، فقال: الظباء والبقر، فلا يبعد أن يكون المراد النجوم"[182].

6 -ما رواه جابر عن شيخه ابن عباس في تفسير قوله سبحانه وتعالى:{ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فإتباع بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[سورة البقرة (2): 178].

أخرج ابن جرير الطبريّ عن المثنى أنّه قال: " حدثنا حجاج بن المنهال قال، حدثنا حماد بن سلمة قال، حدثنا عمرو بن دينار، عن جابر بن زيد، عن ابن عباس أنه قال في قوله:{فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فإتباع بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ}، فقال: هو العمد، يرضى أهله بالدية، واتباع بالمعروف: أُمر به الطالب {وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ}من المطلوب... حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال، حدثنا حماد بن سلمة قال، أخبرنا عمرو بن دينار، عن جابر بن زيد، عن ابن عباس: {ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ } مما كان على بني إسرائيل، يعني: من تحريم الدية عليهم"[183]

7 -في تفسيره لمعنى السر في قوله سبحانه وتعالي: { وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا}[سورة البقرة (2): 235].

([181]) الطبري (2000) المرجع نفسه، ج24، ص235.

([182]) القرطبي (1985) مرجع سابق، ج19، ص237.

([183]) الطبري (2000) مرجع سابق، ج 3، ص367، 374.

أخرج ابن جرير عن ابن بشار قال: "حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا همام، عن صالح الدهان، عن جابر بن زيد: {وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا}، قال: الزنا"[184].

وقد أورد القرطبيّ قول جابر بن زيد عند حديثه عن اختلاف العلماء في معنى قوله تعالى: {وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا}، فقال: " واختلف العلماء في معنى قوله تعالى: {سِرًّا} فقيل، معناه نكاحاً، أي لا يقل الرجل لهذه المعتدة تزوجيني، بل يعرض إن أراد، ولا يأخذ ميثاقها وعهدها ألا تنكح غيره في استسرار وخفية، هذا قول ابن عباس وابن جبير ومالك وأصحابه والشعبيّ ومجاهد وعكرمة والسديّ وجمهور أهل العلم... وقيل: السر الزنا، أي لا يكونن منكم مواعدة على الزنا في العدة ثم التزوج بعدها. قال معناه جابر بن زيد وأبو مجلز لاحق بن حميد، والحسن وقتادة والنخعي والضحاك، وأنّ السر في هذه الآية الزنا، أي لا تواعدوهن زنا، واختاره الطبريّ"[185].

8 -في معنى قوله تعالى: { وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [سورة النساء(4):92].

اشترط جابر بن زيد في حكم دية المقتول خطأ ومن قوم معاهدين أنّ يكون من أهل الإيمان، فقد أخرج ابن جرير الطبري عن المثنى أنّه قال: "حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك، عن هشيم، عن أبي إسحاق الكوفيّ، عن جابر بن زيد في قوله: {وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ}، قال: وهو مؤمن" [186].

([184]) الطبري (2000) المرجع نفسه، ج5،ص105.

([185]) القرطبي (1985) مرجع سابق، ج3، ص191.

([186]) الطبري (2000) مرجع سابق، ج9،ص43.

9 -في تفسيره معنى قوله سبحانه وتعالى: { فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ}[سورة المائدة (5): 45].

فسّر جابر بن زيد قوله تعالى: {فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ} بأنه المجروح، أي أنّ المجروح إن عفا وصفح فهو كفارة له ومحو له لذنوبه بمقدار ما تصد ق به، أخرج ابن جرير الطبريّ عن محمد بن المثنى أنّه قال: "حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال، حدثنا شعبة، عن عمارة بن أبي حفصة، عن أبي عقبة، عن جابر بن زيد {فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ}قال: للمجروح"[187].

10 -في معنى الفقراء والمساكين في قوله تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[سورة التوبة (9): 60] .

حدد جابر بن زيد صفة الفق ر بالاحتياج والتعفف عن المسألة، والمسكين بالمحتاج السائل، فقد أخرج ابن جرير عن ابن وكيع قوله: "حدثنا أبو أسامة، عن جرير بن حازم قال، حدثني رجل، عن جابر بن زيد: أنه سئل عن الفقراء، قال: الفقراء، المتعففون، والمساكين، الذين يسألون" [188].

11 -في معنى قوله تعالى:{ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ}[سورة البقرة (2): 238].

أخرج الطبريّ في تفسيره عن ابن بشار قال: " حدثنا عفان قال، حدثنا همام قال، حدثنا قتادة، عن صالح أبي الخليل، عن جابر بن زيد، عن ابن عباس قال: الصلاة الوسطى صلاة الفجر" [189]، وهو قول جمهور فقهاء المدينة، وقول ابن عمر، وابنه

([187])الطبري (2000) المرجع نفسه، ج10،ص363.

([188]) الطبري (2000) المرجع نفسه، ج14،ص305.

([189]) الطبري (2000) المرجع نفسه، ج5، ص214،215.

عبد الله، وعلي بن أبي طالب، وابن عباس، وعائشة، وحفصة، وجابر ابن عبد الله، وبه قال مالك، والشافعيّ أيضاً[190].

12 -وفسر جابر قوله: { وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} بمطيعين: فعن ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا أبو المنيب، عن جابر بن زيد: {وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ}، يقول معناه: مطيعين، أو طائعين[191].

13 -نقل القرطبيّ عن جابر بن زيد معنى المتاع الوارد في قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ}[سورة النور(24): 29]، معقباً عليه باستحسان أبو جعفر النحاس له، وأنه موافق للغة، فقال: "وقال جابر بن زيد: ليس يعنى بالمتاع الجهاز، ولكن ما سواه من الحاجة، أما مترل يترله قوم من ليل أو نهار، أو خربة يدخلها لقضاء حاجة، أو دار ينظر إليها فهذا متاع وكل منافع الدنيا متاع.

قال أبو جعفر النحاس: وهذا شرح حسن من قول إمام من أئمة المسلمين، وهو موافق للغة، والمتاع في كلام العرب: المنفعة، ومنه أمتع الله بك" [192].

([190]) انظر ابن كثير (د.ت) تفسير القرآن العظيم، ج1، ص 387.

([191]) انظر الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج5، ص228.

- وانظر القرطبيّ (1985) مرجع سابق، ج 3،ص213.

([192]) القرطبيّ (1985) ا لمرجع نفسه ، ج12،ص221.

ب– في القراءات.

1- قال تعالى: {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}[سورة البقرة (2): 142].

ذكر القرطبيّ أنّ عامة العلماء قرأ {إِبْرَاهِيمَ} بالنصب، و{رَبُّهُ} بالرفع، وروى عن جابر بن زيد: " أنّه قرأ على العكس، وزعم أنَّ ابن عباس أقرأه كذلك، والمعنى دعا إبراهيم ربه وسأل، وفيه بعد، لأجل الباء في قوله: {بِكَلِمَاتٍ} "[193].

2- قال تعالى: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ}[سورة التكوير(81):8].

نقل القرطبيّ قراءة جابر بن زيد لقوله تعالى:{ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ} سأَلَتْ، فقال: " قرأ الضحاك وأبو الضحى عن جابر بن زيد وأبي صالح {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سأَلَتْ}،فتتعلق الجارية بأبيها، فتقول: بأي ذنب قتلتني ؟ ! فلا يكون له عذر، قاله ابن عباس وكان يقرأ {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سأَلَتْ}، وكذلك هو في مصحف أُبي"[194].

3- قال تعالى: { لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً}[سورة آل عمران (3): 28].

نقل القرطبيّ عن ابن عباس في معنى التقية قوله : هو أنْ يتكلم بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا يقتل ولا يأتي مأثماً، مدعِّماً قوله بقراءة الإمام جابر بن زيد، ومجاهد، والضحاك الذين قرؤوا : {إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً} بالياء المشددة على وزن فعيلة، والتاء بدل الواو، قيل إنَّ المؤمن إذا كان قائماً بين الكفار فله أنْ يداريهم باللسان إذا كان خائفاً على نفسه وقلبه مطمئن بالإيمان والتقية لا تحل إلا مع خوف

([193]) القرطبيّ (1985) مرجع سابق، ج2، ص97.

([194]) القرطبيّ (1985) المرجع نفسه، ج19،ص233.

القتل أو القطع أو الايذاء العظيم، والصحيح أنّ من أكره على الكفر له أنْ يتصلب ولا يجيب إلى التلفظ بكلمة الكفر، بل يجوز له ذلك [195].

4- قال سبحانه وتعالى: {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}[سورة آل عمران (3):159].

قرأ جابر بن زيد قوله تعالى: {فَإِذَا عَزَمْتُ} بصيغة المتكلم، والمعنى فإذا قطعت لك بشيء وعينته لك فتوكل عليّ ولا تشاور به أحداً[196].

قال القرطبيّ: "وقرأ جعفر الصادق وجابر بن زيد: {فَإِذَا عَزَمْتَ} بضم التاء. نسب العزم إلى نفسه سبحانه إذ هو بهدايته وتوفيقه، كما قال: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى}[سورة الأنفال (8): 17]، ومعنى الكلام أي عزمت لك ووفقتك وأرشدتك: {فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} والباقون بفتح التاء" [197].

5- نقل الألوسي في تفسيره قراءة جابر لقوله تعالى: {وَيَصْلَى سَعِيرًا}[سورة الانشقاق (84): 12]، بضم الياء وفتح الصاد واللام مشددة من التصلية، فقال: " {وَيَصْلَى سَعِيرًا} يقاسي حرها أو يدخلها وقرأ أكثر السبعة وعمر بن عبد العزيز وأبو الشعثاء والحسن والأعرج يُصلّي بضم الياء وفتح الصاد واللام مشددة من التصلية لقوله تعالى: {وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ}[سورة الواقعة (56): 94]، وقرأ أبو الأشهب وخارجة عن نافع وأبان عن عاصم والعتكيّ وجماعة عن أبي عمرو يُصلي بضم الياء ساكن الصاد مخفف اللام مبنياً للمفعول من الأصلاء لقوله تعالى : {وَنُصْلِهِ جَهَنَّم}" [198].

([195]) انظر القرطبيّ (1985) المرجع نفسه، ج4،ص57.

([196]) انظر الألوسيّ (د.ت) روح المعاني، بيروت: لبنان، دار إحياء التراث العربي، ج3، ص290.

([197]) القرطبيّ (1985) مرجع سابق، ج4، ص252.

([198]) الألوسيّ (د.ت) مرجع سابق، ج22، ص301.

ثانياً: علوم القرآن عند الحسن البصريّ.

يعدّ الحسن البصري شخصية علمية موسوعية، جرّاء العلوم المتنوعة الظاهرة في مروياته، ما بين قراءاتٍ وتوجيهها، وتفسير بأنواعه، وإعراب وترجيحٍ بين الأقوال، متفرداً من بين التابعين بتأويل يوافق مشربه ، فما أكثر ما نجده يأتي بقراءة مخالفة، فهو يعدُّ من الأربعة المتممين للأربع عشرة قراءة المشهورة، وتفرّد بقراءة خاصة به، كما كان الوعظ والتوجيه هو الطابع الغالب عليه والصبغة التي اصطبغ بها أسلوبه في تفسيره للآيات؛ مما أدى به أحياناً إلى مخالفة ظاهر النص القرآني، ولكن مع ذلك فالمتأمل يجد له في غيره من العلوم موافقات للتابعين..

أ- في التفسير.

1 -في معنى قوله سبحانه وتعالى:{ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [سورة البقرة (2): 30].

يقول الحسن البصري في تفسير قوله:{إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}، أي خلفًا يخلف بعضهم بعضًا، وهم ولد آدم الذين يخلفون أباهم آدم، ويخلف كل قرن منهم القرن الذي سلف قبله، أورده الطبريّ بصيغة، وهذا قول حكي عن الحسن البصريّ.

2 -وفي تفسيره لقوله تعالى: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ}.

أخرج الطبريّ عن الحسن بن يحيى أنّه قال: "أخبرنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ} قال: كان الله أعلمهم إذا كان

في الأرض خلق أفسدوا فيها وسفكوا الدماء، فذلك قوله: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ}، وبمثل قول قتادة قال جماعة من أهل التأويل، منهم الحسن البصريّ"[199].

3 -في تفسير قوله تعالى:{ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ}[سورة البقرة (2): 68].

أخرج ابن جرير عن الحسن البصريّ حديثاً مرسلاً إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – في معنى قوله تعالى: {قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ} مكتفياً بإيراد ما رواه عن ابن عباس وأبو العالية في ذلك وأنّ الحسن روى مثله، فقال: " قوله: { قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ} هذا تعنيت منهم وقلة طواعية، ولو امتثلوا الأمر وذبحوا أي بقرة كانت لحصل المقصود، لكنهم شدّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم، قاله ابن عباس وأبو العالية وغيرهما، ونحو ذلك روى الحسن البصريّ عن النبي صلى الله عليه وسلم" [200].

4 -في قوله سبحانه وتعالى: {وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ}[سورة الصفات (37) :107].

يؤكد معظم علماء التفسير أنّ الذي أمر الله إبراهيم بذبحه من بنيه هو إسماعيل، ويبدو ذلك واضحاً في كتاب الله في قصة الخبر عن إبراهيم وما أُمر به من ذبح ابنه إسماعيل، وذلك أنَّ الله يقول، حين فرغ من قصة المذبوح من إبراهيم، قال {وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ} يقول: بشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، يقول: بابن وابن ابن، فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق وله فيه من الله الموعود ما وعده الله، وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل، فقد أخرج الطبريّ عن ابن حميد، قال: "ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الحسن بن دينار وعمرو بن عبيد، عن الحسن البصريّ أنّه كان لا يشك في ذلك أنّ الذي أمر بذبحه من ابني إبراهيم: إسماعيل"[201].

([199]) انظر الطبريّ (2000) مرجع سابق، ج1، ص451، 455.

([200])القرطبيّ (1985) مرجع سابق،ج1 ،ص448.

([201]) انظر الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج21،ص85.

5 -في قوله تعالى: {إنما النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا ليوطئوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ}[سورة التوبة(9): 37].

أخرج ابن جرير الطبريّ في تفسير الحسن لقوله تعالى: {يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا}، فقال: "قد حكي عن الحسن البصريّ: {يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا}، بمعنى: يضل بالنسيء الذي سنه الذين كفروا من الناس"[202].

6 -في قول الله تعالى: { وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}[سورة آل عمران(3): 97].

أخرج الطبريّ في معنى هذه الآية حديثاً مرسلاً عن الحسن أنَّ الرسول – صلى الله عليه وسلم – فسّر السبيل بالزاد، فقال: "حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل قال، حدثنا يونس وحدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية، عن يونس عن الحسن قال: قرأ رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا}، قالوا: يا رسول الله، ما السبيل؟ قال: الزادُ"[203].

7 -في قوله سبحانه وتعالى: { رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ}[سورة الأعراف (7): 89].

أخرج ابن جرير الطبريّ قول الحسن في تفسير معنى قوله {افْتَحْ} الوارد في هذه الآية عن القاسم، فقال: "حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج

([202]) انظر الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج14،ص244

([203]) هذا حديث مرسل عن الحسن البصريّ، وقد رواه الطبريّ هنا بإسنادين من طريق يونس، عن الحسن. وفي رقم: 7488، 7491، من رواية قتادة، عن الحسن، ثم من رواية قتادة وحميد، عن الحسن. انظر الطبري (2000) المرجع نفسه، ج60، ص40.

ورواه البيهقي بأسانيد، عن الحسن، انظر البيهقيّ (1994) سنن البيهقيّ، مرجع سابق، كتاب الحج، باب بيان السبيل الذي بوجوده يجب الحج إذا تمكن من فعله، رقم الحديث: 8407، ج4، ص327، وكذلك في معرفة السنن والآثار، مرجع سابق، كتاب المناسك، باب الحال التي يجب فيها الحج بنفسه، رقم الحديث: 2787، ج7، ص361.

قال، قال الحسن البصريّ: افتح احكم بيننا وبين قومنا، و{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا}، الفتح: حكمنا لك حكمًا مبينًا"[204].

8 -في قوله تعالى: {وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}[سورة هود (11):120].

أخرج الطبريّ عن المثني قال: "حدثنا آدم قال، حدثنا شعبة، عن أبي رجاء قال: سمعت الحسن البصريّ يقول في قول الله:(وجاءك في هذه الحق)، قال: يعني في هذه السورة"[205].

9 -في قوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ولنجز ينهم أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[سورة النحل(16):97].

أخرج ابن جيري الطبريّ عن القاسم في معنى الحياة الطيبة ، قال: "ثنا الحسين، قال: ثنا أبو عصام، عن أبي سعيد، عن الحسن البصريّ، قال: الحياة الطيبة: القناعة"[206].

10 -في تفسير قوله تعالى: {إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ}[سورة العاديات (100):6].

روى ابن جرير عن الحسن البصريّ قال في قوله تعالى : {إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ} هو الكفور الذي يعد المصائب، وينسى نعم ربه [207].

11 -في معنى قوله تعالى:{وَحُورٌ عِينٌ}[سورة الواقعة (56):22].

([204]) الطبري (2000) المرجع نفسه،ج2،ص5651.

([205]) الطبري (2000) المرجع نفسه، ج 15،ص542.

([206]) الطبري (2000) المرجع نفسه، ج17،ص290

([207]) انظر الطبري (2000) المرجع نفسه، ج24،ص566.

قال الطبري "حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا إبراهيم بن محمد الأسلميّ، عن عباد ابن منصور الباجيّ، أنّه سمع الحسن البصريّ يقول: الحُور: صوالح نساء بني آدم"[208].

12 -في تفسير معنى {وَ خَرَقُوا} الوراد في قوله تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ}[سورة الأنعام (6): 100].

نقل القرطبي عن الحسن البصريّ أنّه سئل عن معنى: " وخرقوا له " بالتشديد، فقال: إنما هو " خَرَقُوا " بالتخفيف، كلمة عربية، كان الرجل إذا كذب في النادي قيل: خرقها ورب الكعبة، وهو قول مجاهد وقتادة وابن زيد وابن جريج، فقد نقل عنهم القرطبي قولهم : " خرقوا " كذبوا، وقال أهل اللغة: معنى " خرقوا " اختلقوا وافتعلوا " وخرقوا " على التكثير [209].

13 -في تفسير قوله تعالى: {لَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ}[سورة هود (11):82].

أخرج ابن جرير عن الحسن البصريّ أنّه قال: "كان أصل الحجارة طينًا فشُدِّدت"[210]، ونقل القرطبيّ عن الحسن مثل ذلك وزاد عنه " السجيل عند العرب كل شديد صلب"[211].

([208]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج 23، ص107.

([209]) القرطبيّ (1985) مرجع سابق،ج 7،ص53.

([210]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج 15، ص436.

([211]) انظر القرطبيّ (1985) مرجع سابق، ج9، ص89.

ب- في القراءات.

1 -قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ }[سورة البقرة(2): 161].

ذكر القرطبيّ أنّ الحسن قرأ قوله تعالى: {وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعونَ} بالرفع، وتأويلها: أولئك جزاءهم أنْ يلعنهم الله ويلعنهم الملائكة ويلعنهم الناس أجمعون، كما تقول: كرهت قيام زيد وعمرو وخالد؛ لأنّ المعنى: كرهت أنْ قام زيد، ووصف القرطبي قراءة الحسن هذه بأنّها مخالفة للمصاحف[212].

2 - قال سبحانه وتعالى: { قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}[سورة البقرة(2): 97].

روى ابن جرير عن الحسن البصريّ وعبد الله بن كثير أنهما: "كانا يقرآن: {جِبْرِيلَ} بفتح الجيم، وترك الهمز، قال أبو جعفر: وهي قراءة غير جائزةٍ القراءةُ بها، لأن(فعليل) في كلام العرب غير موجود وقد اختار ذلك بعضهم"[213].

3 -قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [سورة البقرة (2) : 104].

نقل ابن جرير الطبريّ أنّه: "حكي الحسن البصريّ أنّه كان يقرؤه : {لَا تَقُولُوا رَاعِنَا} بالتنوين، بمعنى: لا تقولوا قولاً راعناً، من الرعونة، وهي الحمق والجهل، وهذه قراءة لقراء المسلمين مخالفة، فغير جائز لأحد القراءة بها لشذوذها وخروجها من قراءة المتقدمين والمتأخرين، وخلافِها ما جاءت به الحجة من المسلمين" [214].

([212]) القرطبيّ (1985) مرجع سابق،ج2 ،ص190.

([213]) الطبريّ (2000) مرجع سابق، ج2، ص389.

([214]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج2، ص466.

4 - قال تعالى: { إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ}[سورة آل عمران(3): 153].

أورد ابن جرير اختلاف القرّاء في قراءة {إِذْ تُصْعِدُونَ}، فذكر أنّ عامة قُرّاء الحجاز والعراق والشام سوى الحسن البصريّ قرؤوا: {إِذْ تُصْعِدُونَ } بضم التاء، وكسر العين، وهي القراءة المعتمدة عند ابن جرير؛ لإجماع الحجة من القرأة على القراءة به، واستنكارهم ما خالفه [215].

ثم نقل القراءة المروية عن الحسن فقال: " وروي عن الحسن البصريّ أنّه كان يقرأه: {إِذْ تَصْعَدُونَ}، بفتح التاء والعين، فأما الذين قرأوا: {تُصْعِدُون} بضم التاء وكسر العين، فإنهم وجهوا معنى ذلك إلى أنّ القوم حين انهزموا عن عدوِّهم، أخذوا في الوادي هاربين، وذكروا أنّ ذلك في قراءة أبي: {إِذْ تُصْعِدُونَ فِي الْوَادِي} [216].

5 -قال تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ}[سورة النساء (4): 90].

روى ابن جرير الطبريّ عن الحسن البصريّ أنّه كان يقرأ: {أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَةً صُدُورُهُمْ} نصبًا، وهي صحيحة في العربية فصيحة، غير أنّ ابن جرير يرى عدم جواز القراءة بها؛ لشذوذها وخروج ها عن قراءة قرأة الإسلام ، فقراءة "حَصِرَت"، هي القراءة المشهورة لدى القرأة في جميع الأمصار، وبها يقرأ لإجماع الحجة عليها[217].

6 -قال سبحانه وتعالى:{ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}[سورة الأنعام(6): 96].

([215]) انظر الطبري (2000) المرجع نفسه، ج7، ص300.

([216]) الطبري (2000) المرجع نفسه، ج7، ص300.

([217]) انظر الطبري (2000) المرجع نفسه، ج8، ص22.

نقل ابن جرير عن الحسن البصريّ أنّه كان يقرأ:{فَالِقُ الأصْبَاحِ} بفتح الألف، كأنه تأول ذلك بمعنى جمع (صُبح)، كأنه أراد صبح كل يوم، فجعله (أصباحًا)" [218] ذاكراً أنه لم يبلغه عن أحد سواه أنه قرأ كذلك، وأن القراءة التي لا يستجيز القُراء تعدِّيها هي: {فالِقُ الإصْبَاح} بكسر الألف؛ لإجماع الحجة من القرأة وأهل التأويل على صحة ذلك، لذلك رفضوا قرأة الحسن بخلافهم وهي فتح الألف [219].

7 -في قوله تعالى:{ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[سورة الأنعام (6): 108].

نقل ابن جرير الطبريّ عن الحسن البصريّ أنّه كان يقرأ ذلك:{عُدُوًّا} مشدّدة الواو [220]، مورداً بعد ذلك ترجيح أبي جعفر فقال: " قال أبو جعفر: والصواب من القراءة عندي في ذلك، قراءةُ من قرأ بفتح العين وتخفيف الواو، لإجماع الحجة من القرأة على قراءة ذلك كذلك، وغير جائز خلافُها فيما جاءت به مجمعة عليه"[221].

8 -قال تعالى: { قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ}[سورة الأعراف (7): 127].

روى ابن جرير الطبريّ عن الحسن البصريّ أنَّه كان يقرأ ذلك : {وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ} عطفًا بقوله: {وَيَذَرَكَ} على قوله: {أَتَذَرُ مُوسَى}[222]، وعقَّب ابن جرير على هذه القراءة بقوله: " كأنّه وجَّه تأويله إلى: أتذر موسى وقومه، ويذرك وآلهتك،

([218]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج11، ص556.

([219]) انظر الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج11، ص556.

([220]) انظر الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج12،ص36.

([221]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج12،ص36.

([222]) انظر الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج13،ص37.

ليفسدوا في الأرض، وقد تحتمل قراءة الحسن هذه أن يكون معناها: أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض، وهو يذرك وآلهتك؟ فيكون {يَذَرَكَ} مرفوعًا بابتداء الكلام والسلامة من الحوادث" [223].

9 -قال سبحانه وتعالى: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}[سورة الأعراف (7): 163].

نقل ابن جرير عن الحسن قراءة {وَيَوْمَ لا يُسْبَتُونَ} بضم الياء، فقال: "ذكر عن الحسن البصريّ أنّه كان يقرؤه: {وَيَوْمَ لا يُسْبَتُونَ} بضم الياء، من أسبت القوم يسبتون، إذا دخلوا في السبت، كما يقال: أجمعنا، مرّت بنا جمعة، وأشهرنا مرّ بنا شهر، وأسبتنا، مرّ بنا سبت، ونصب يوم من قوله: ويوم لا يسبتون، بقوله: {لَا تَأْتِيهِمْ}؛ لأنّ معنى الكلام: لا تأتيهم يوم لا يسبتون" [224].

10 -قال سبحانه وتعالى:{ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ}[سورة التوبة (9):12].

رُوي عن الحسن البصريّ أنّه كان يقرأ ذلك: {إِنَّهُمْ لا إِيمَانَ لَهُمْ} بكسر الألف، بمعنى: لا إسلام لهم[225].

روى ذلك ابن جرير الطبريّ عند إيراده لا ختلاف القرّاء في قراءة قوله: {إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ}، فذكر أنّ قراءة قراء الحجاز والعراق وغيرهم: {إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ} بفتح الألف من "أيمان" بمعنى: لا عهود لهم، و قرأها الحسن البصريّ: {إِنَّهُمْ لا إِيمَانَ لَهُمْ} بكسر الألف، بمعنى: لا إسلام لهم.

([223]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج13،ص37.

([224]) انظر الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج 13،ص184.

([225]) انظر الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج14، ص157.

ووجّه ذلك بقوله "و قد يتوجَّه لقراءته كذلك وجهٌ غير هذا، وذلك أن يكون أراد بقراءته ذلك كذلك: أنهم لا أمان لهم أي: لا تؤمنوهم، ولكن اقتلوهم حيث وجدتموهم كأنه أراد المصدر من قول القائل: آمنته فأنا أومنه إيمانًا" [226].

11 - قال سبحانه وتعالى:{وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[سورة التوبة (9):61].

أورد ابن جرير الطبري اختلاف القرّاء في قراءة قوله: {قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ}. فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار، بإضافة الأذن إلى الخير، يعني: قل لهم، يا محمد: هو أذن خير، لا أذن شرٍّ وهو الأصوب عنده.

وروى عن الحسن البصريّ أنّه قرأ بتنوين {أُذُنٌ}، ويصير {خَيْرٌ} خبرًا له، بمعنى قل: من يسمع منكم، أيها المنافقون، ما تقولون ويصدقكم، إنْ كان محمد كما وصفتموه، من أنكم إذا أتيتموه، فأنكرتم ما ذكر له عنكم من أذاكم إياه وعيبكم له، سمع منكم وصدقكم خيرٌ لكم من أن يكذبكم ولا يقبل منكم ما تقولون، ثم كذبهم فقال: بل لا يقبل إلا من المؤمنين: {يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ}[227].

12 -قال تعالى {اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ}[سورة يونس (10):71].

قال ابن جرير الطبريّ: " واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته قراء الأمصار: {وَشُرَكَاءَكُمْ} نصبًا، وقوله: {فَأَجْمِعُوا} بهمز الألف وفتحها من: أجمعت أمري فأنا أجمعه إجماعًا، وذكر عن الحسن البصريّ أنه كان يقرؤه: {فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ} بفتح

([226]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج14، ص157.

([227]) انظر الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج14، ص325.

الألف وهمزها {وَشُرَكَاؤُكُمْ} بالرفع على معنى: وأجمعوا أمركم، وليجمع أمرَهم أيضًا معكم شركاؤكم" [228].

ونقل عن أبي جعفر: بصويهقراءة من قرأ:{فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ} بفتح الألف من أجمعوا، ونصب الشركاء؛ لأنها في المصحف بغير واو، ولإجماع الحجة على القراءة بها، ورفض ما خالفها، ولا يعترض عليها بمن يجوز عليه الخطأ والسهو [229].

13 - قال الله عزَّ وجلّ: { وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ}[سورة النحل (16): 116].

نقل ابن جرير اختلاف القرّاء في قراءة : {وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ}، فقرأته عامَّة قرّاء الحجاز والعراق نصب الكَذِب، بمعنى: ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذبَ، فتكون "ما" بمعنى المصدر، وهو الصواب عنده لإجماع الحجة من القرّاء عليه، وروى عن الحسن البصريّ أنّه قرأها بخفض الكذب، بمعنى: ولا تقولوا للكذب الذي تصفه ألسنتكم: {هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ} فيجعل الكذب ترجمة عن (ما) التي في لَما، فتخفضه بما تخفض به ما"[230].

14 -قال تعالى:{ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى} [سورة طه (20): 69].

نقل الطبريّ عن الحسن قراءة قوله { يُخَيَّلُ إِلَيْه} تُخَيَّلُ، فقال بعد أن أشار إلى اختلاف القراء فيها، وأنّ الأصوب عنده قراءة قوله: {يُخَيَّلُ إِلَيْهِ} بالياء بمعنى: يخيل إليهم سعيها وهي عامة قرّاء الأمصار، قال: " ورُوي عن الحسن البصريّ أنه كان يقرؤه :{تُخَيَّلُ} بالتاء، بمعنى: تخيل حبالهم وعصيهم بأنها تسعى، ومن قرأ ذلك

([228]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج15، ص149.

([229]) انظر الطبريّ (2000) المرجع نفسه،ج17،ص314.

([230]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه،ج17،ص314.

كذلك، كانت (أن) في موضع نصب لتعلق تخيل بها، وقد ذُكر عن بعضهم أنه كان يقرؤه: {تُخَيَّلُ إِلَيْه} بمعنى: تتخيل إليه، وإذا قرئ ذلك كذلك أيضا ف (أن) في موضع نصب بمعنى: تتخيل بالسعي لهم"[231].

15 -قال تعالى: {وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا} [سورة طه (20): 98].

ذكر الطبريّ اختلاف القرّاء في قراءة قوله: {لَنحرّقَنَّه} فقرأته عامَّة قرّاء الحجاز والعراق {لَنُحَرّقَنَّهُ} بضم النون وتشديد الراء، بمعنى لنحرقنه بالنار قطعة قطعة، وأنّ الحسن البصريّ قرأها {لَنُحْرِقَنَّهُ} بضم النون، وتخفيف الراء، بمعنى: لنحرقنه بالنار إحراقة واحدة، وقرأه أبو جعفر القارئ: (لَنَحرُقَنَّهُ) بفتح النون وضم الراء بمعنى: لنبردنه بالمبارد من حرقته أحرقه وأحرّقه، وقد رجح ابن جرير قراءة (لَنُحَرِّقَنَّهُ) بضم النون وتشديد الراء، من الإحراق بالنار [232].

16 -قال تعالى: {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ} [سورة فصلت (41): 44].

قال ابن جرير: " وقرأت قُراء الأمصار: (أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ؟) على وجه الاستفهام، وذكر عن الحسن البصريّ أنه قرأ ذلك: أعجميّ بهمزة واحدة على غير مذهب الاستفهام، على المعنى الذي ذكرناه عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير. والصواب من القراءة في ذلك عندنا القراءة التي عليها قراء الأمصار لإجماع الحجة عليها على مذهب الاستفهام"[233].

([231]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج18، ص336.

([232]) انظر الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج18، ص365، 366.

([233]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج21، ص483.

17 -قوله تعالى:{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا}[سورة الأحقاف (46):15].

نقل ابن جرير اختلاف القرّاء في قراءة قوله: {وَفِصَالُهُ} فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار غير الحسن البصريّ {وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ} بمعنى: فاصلته أمه فصالاً ومفاصلة. وذُكر عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه: {وَحَمْلُهُ وَفَصْلُهُ} بفتح الفاء بغير ألف، بمعنى: وفصل أمه إياه، ورجح ابن جرير قراءة قرّاء الأمصار؛ لإجماع الحجة من القراء عليه، وشذوذ ما خالف[234].

18 -قال تعالى: {فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ}[سورة الواقعة (56):89].

اختلف القرّاء في قراءة ذلك، فقرأ الحسن البصريّ {فَرُوحٌ} بضم الراء، بمعنى: أن روحه تخرج في ريحانة، وقرأته عامة قرّاء الأمصار (فَرَوْحٌ) بفتح الراء، بمعنى: فله برد {وَرَيْحَانٌ } يقول: ورزق واسع في قول بعضهم، وفي قول آخرين فله راحة وريحان[235].

19 -قال تعالى: { يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ}[سورة المعارج (70):43].

انفرد الحسن البصريّ في قرأته لكلمة {نُصُبٍ}، فقد ذكر عنه أنه كان يضمها مع الصاد؛ وكأن من فتحها يوجه النصب إلى أنه مصدر من قول القائل: نصبت الشيء أنصبه نصباً. وكان تأويله عندهم: كأنهم إلى صنم منصوب يسرعون سعياً، وأجمعت قرّاء الأمصار على فتح النون من قوله: نَصْبٍ"[236].

([234]) انظر الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج 22، ص113.

([235]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج 23، ص159.

([236]) انظر الطبريّ (2000) المرجع نفسه،ج 23،ص624.

ج- في الناسخ والمنسوخ.

1 -قال تعالى:{مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[سورة البقرة (2):106].

أخرج ابن جرير الطبريّ عن سوار بن عبد الله العنبري أنّه قال: "حدثنا خالد بن الحارث قال، حدثنا عوف، عن الحسن أنه قال في قوله: {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا}، قال: إنّ نبيكم صلى الله عليه وسلم أقرئ قرآناً، ثم نسيه فلم يكن شيئا، ومن القرآن ما قد نسخ وأنتم تقرءونه"[237].

2 -قال تعالى:{ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}[سورة الأنعام (6):121].

روي عن الحسن البصريّ وعكرمة حدثنا به ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح، عن الحسين بن واقد، عن يزيد، قالا قال:(فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين، ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق)، فنسخ واستثنى من ذلك فقال:(وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حلٌ لَهُمْ) [سورة المائدة(5): 5] [238]

([237]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج2، ص472.

([238]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج12،ص87.

د- في أسباب النزول.

3 -في قول الله تعالى:{ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ}[سورة آل عمران(3):181].

أخرج ابن جرير الطبريّ عن ابن حميد أنه قال: "حدثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن الحسن البصري قال: لما نزلت: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا}، قال: عجبت اليهود فقالت: إن الله فقير يستقرض! فنزلت: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ }" [239].

4 -قال تعالى:{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ}[سورة الحجر(15):47].

أخرج الطبريّ عن المثنى أنّه قال: " ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن إسرائيل، عن أبي موسى سمع الحسن البصريّ يقول: قال عليّ: فينا والله أهل بدر نزلت الآية {وَنزعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ}"[240].

5 -قال تعالي:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ} [سورة المائدة (5):101].

ذكر القرطبيّ أن الحسن يرى أن سبب نزول هذه الآية هو سؤالهم النبي - صلى الله عليه وسلم - عن أمور الجاهلية التي عفا الله عنها، وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، قال القرطبيّ: " وقال الحسن البصريّ في هذه الآية: سألوا النبي - صلى الله

([239]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج7،ص444.

([240])الطبريّ (2000)مصدر سابق،ج17،ص108.

عليه وسلم – عن أمور الجاهلية التي عفا الله عنها، ولا وجه للسؤال عما عفا الله عنه، وروى مجاهد عن ابن عباس أنها نزلت في قوم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وهو قول سعيد بن جبير، وقال: ألا ترى أن بعده: {مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ}[سورة المائدة (5): 103]" [241].

([241]) القرطبيّ (1985) مرجع سابق، ج6، ص331.

المبحث الثاني: مروياتهما في الجانب العقدي.

تعدُّ العقيدة الأساس الأول في البناء الفكري للإنسان، فهي أساس الديانات، وهي الأساس الأول في تقويم الفرد والمجتمع الإنساني، تقويماً يبلغ به ذروة الكمال الإنساني، إذا هو تحملها كلها دون تفريق بين وحدات أركانها، وأحكامها، علماً وعملاً، فالعقائد مبناها معتمد على الإيمان بالله وحده وبالكتب وبالرسل والملائكة واليوم الآخر والقضاء والقدر، وهذه أمور من الثوابت التي ليست بعرضة لا للتغير ولا للتبديل لولا ما اعتورها من تحريف وتبديل بشري شيطاني، عدا طبعاً رسالة الإسلام فهي خاتمتها والله تعهد بحفظها.

والعقيدة الراجحة الصحيحة السليمة هي ماكان عليه سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلّم – وأصحابه الأبرار – رضوان الله عليهم جميعاً – وهو النهج الذي سار عليه السلف الصالح رحمهم الله.

وقد كان مدلول العقيدة في أذهان المسلمين يمتد على مساحة تمثل الأسس الكبرى من المعاني مثل الوحدانية والنبوة والبعث والجزاء وما تنطوي عليه من المعاني الجزئية، والمتأمل في الموضوعات التي تناولها علم العقيدة بالبحث كما انتهت إليه المدونات الجامعة لهذا العلم يجد أنها لم تستوعب كل مساحة مدلول العقيدة بل اقتصرت على قضايا كانت مورد شبهة وتساؤل في عصر التدوين الذي شهد مواجهات ومدافعات أثبت العلماء ما يختص بها و لم يتطرقوا إلى مسائل لم تدع الحاجة للدفاع عنها، وبمرور الزمن أصبح كثير من متأخري المسلمين يظن أن مدلول العقيدة ينحصر فيما دونه العلماء من قضايا وأن غيرها من مسائل الفكر والعمل هي مسائل شرعية وليست عقدية، فقضايا العقيدة لا تنحصر في عالم الغيب دون وصل له بعالم الشهادة من واقع الحياة، فالعقيدة الإسلامية جاءت بمفهوم عملي للاعتقاد، فأصبح

التصديق الذهني ليس معتبراً في ذاته إلا قليلاً وإنما تكتمل قيمته بما يؤدي إليه من أعمال .

وبانتقال رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – للرفيق الأعلى وتوسع رقعة الإسلام وانتشاره في أصقاع المعمورة، ودخول الخلق في دين الله أفواجاً، بدأت تثار تسأولات واستفهامات من المسلمين يسألونها لأصحاب الرسول – عليه الصلاة والسلام – لم يسألوها له في حياته، من مسائل تخص العقيدة، فنجد من الصحابة من فضل الوقوف عندها، كما نجد منهم في الجانب المقابل من فسر واجتهد وأوّل، وذلك بما يتناسب ومنهج القرآن في عرضه للعقيدة، وفي عرضه لمبادئ، الإسلام وعقائده.

وفيما يلي بعض النماذج لمرويات الإمامين في الجانب العقدي.

أولاً: المرويات العقدية عند الإمام جابر بن زيد.

لم يصل إلينا شيء ذو بال عن مرويات التفسير عند الإمام جابر بن زيد فيما يتعلق بالمسائل العقدية، فلم يرو لنا ابن جرير الطبري عنه إلا روايتين، بينما لم أجد عند القرطبيّ أيّة رواية في هذا الجانب، وقد وردت بعض الآراء العقدية في بعض المسائل عن جابر ذكرت بعضها في كتب الحديث وبعضها في الكتب التي تعالج موضوعات العقيدة، كما روى الشيخ محمد بن يوسف أطفيش في تفسيره هميان الزاد بعضاً منها عند تفسيره لبعض الآيات التي تعالج هذا الموضوع، ونظراً لانحصار الموضوع في مرويات الإمام جابر في تفسيري الطبريّ والقرطبيّ، فقد اقتصرت على الإشارة إليها والإحالة إلى مصادرها، ويبدوا أنّ إمامة جابر للإباضية، وإنكار بعض العلماء ذلك، وإثباتها عند البعض، هو السبب في قلة اعتماد العلماء على مروياته في هذا الجانب.

1- روى ابن جرير عن جابر بن زيد قوله في تحديد اسم الله الأعظم، وذلك عند تفسير قوله تعالى: {هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[سورة الحشر (59) :24].

اختلف كثير من العلماء في اسم الله الأعظم الذي إذا سأل العبد ربه به أجابه مترها به ذاته سبحانه وتعالى، فجابر بن زيد يري أنه الله، وهو علم على الذات المتصفة بصفات الكمال المنعوت بصفات الجمال المتفرد بصفات الجلال واجب الوجود؛ لأنه تكرر في عديد الآيات، فقد أخرج الطبريّ عن يعقوب بن إبراهيم أنه قال: " ثنا ابن علية، قال: أخبرنا أبو رجاء، قال: ثني رجل، عن جابر بن زيد، قال: إنَّ اسم الله الأعظم هو الله، ألم تسمع يقول: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ

الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ }[سورة الحشر (59): 22، 23] يقول: تنزيهًا لله وتبرئة له عن شرك المشركين به[242].

وقد ورد تحديد اسم الله الأعظم في حديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم – عن عبد الله بن بريدة الأسلميّ عن أبيه قال: " سمع النبي – صلى الله عليه و سلم – رجلاً يدعو وهو يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد قال، فقال والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى"[243].

وعليه فمن بين الحديث في دعائه بأن قال :اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد؛ فهو داع الله تعالى باسمه الأعظم.

2- أخرج ابن جرير الطبريّ رواية لجابر في جزاء المؤمنين عند تفسير قوله تعالى: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخفي لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كانوا يعملون }[سورة السجدة (32):17].

فقد روى عن يعقوب بن إبراهيم أنه قال: " ثنا معتمر بن سليمان، عن الحكم بن أبان، عن الغطريف، عن جابر بن زيد يقول في جزاء العبد المؤمن وما تقربه عينه ، عن ابن عباس – رضي الله عنهما – عن النبيّ – صلى الله عليه وسلم – عن الروح الأمين، قال: "يُؤْتَى بِحَسَنَاتِ العَبْدِ وَسَيِّئَاتِهِ، فَيَنْقُصُ بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ، فإنْ بَقِيَتْ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ، وَسَّعَ اللهُ لَهُ فِي الجَنَّة" [244]، قال: فدخلت على يزداد، فحدّث بمثل

([242]) انظر الطبريّ (2000) مرجع سابق، ج3 2، ص 305.

([243]) قال أبو عيسى الترمذيّ هذا حديث حسن غريب. انظر الترمذيّ (د.ت) **سنن الترمذي**، مرجع سابق، كتاب الدعوات، باب جامع الدعوات عن النبي ﷺ، ج5، ص 515، رقم الحديث: 3475.

([244]) أخرجه أبو نعيم في الحلية، وقال هذا حديث غريب من حديث جابر والغطريف تفرد به عن الحكم بن أبان العدني، انظر أبو نعيم الأصفهانيّ (د.ت) حلية الأولياء، مرجع سابق، ج3، ص 213.

هذا؛ قال: قلت: فأين ذهبت الحسنة؟ قال: {أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئاتِهِمْ فِي أصحابِ الجَنَّةِ وَعْدَ الصّدْقِ الَّذِي كانُوا يُوعَدُونَ}[سورة الأحقاف:(46)]"[245].

فكما هو واضح لم يرو لنا الطبريّ ولا القرطبيّ لجابر في هذا الجانب شيئاً ذا بال، ولولا الخوف من الاستطراد والخروج عن المنهج الذي التزمته لعرضت أقواله وآرائه العقدية التي نقلتها لنا كتب التفسير الأخرى، وكذلك ما نقله تلاميذه الإباضية كما هو في مسند الربيع، ومدونة أبي غانم الخراساني.

([245]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج 20، ص185.

ثانياً: المرويات العقدية عند الحسن البصريّ.

يختلف الأمر عند الإمام الحسن البصريّ عن جابر بن زيد في المرويات التفسيرية المتعلقة بالجانب العقدي، فرغم أنهم عاشوا في عصر واحد كثر فيه الأخذ والرد في الكثير من المسائل العقدية، التي كان لها الأثر البارز في مصير الأمة، كما سبق معنا في مسألة المنزلة بين المنزلتين التي أثارها تلميذه واصل ابن عطاء، واهتمامه بالقدر، وموقفه من الفتنة الكبرى، وكذلك ما أثير حول بعض المسائل العقدية من اختلاف بين علماء الأمة كرؤية الله، والوعد الوعيد، وغيرها، فقد روى له الطبريّ والقرطبيّ في التفسير بعض المرويات في هذا الجانب.

وهذا لا يمنع أنّ له روايات أخرى في مسائل العقيدة في كتب التفسير الأخرى، وكذلك كتب الحديث والعقيدة وغيرها.

1 -رواية الطبريّ عن الحسن تحريم تسمية العباد بأسماء الله عزَّ وجلَّ، عند تفسير البسملة، فبعد أنْ بيَّن ابن جرير الطبري أنَّ لله جلَّ ذكره أسماءً قد حرَّم على خلقه أنْ يتسمَّوا بها، وأنه خَصَّ بها نفسه دونهم، مثلُ اسم: "الله" و "الرحمن" و "الخالق"؛ وأن، هنالك أسماءً أباحَ لهم أن يُسمِّيَ بعضهم بعضًا بها، وأنْ يتصفوا بها، كالرحيم والسميع والبصير والكريم، وما أشبه ذلك من الأسماء، وأنَّه من الواجب أنْ تقدَّم أسماؤه التي هي له خاصة دون جميع خلقه، ليعرف السامعُ ذلك مَنْ تَوجَّه إليه الحمد والتمجيدُ، ثم يُتبع ذلك بأسمائه التي قد تسمى بها غيره، بعد علم المخاطب أو السامع من توجَّه إليه ما يتلو ذلك من المعاني.

ثم نقل قول الحسن مستأنساً ومحتجاً به على ذلك، فقال:" وقد كان الحسنُ البصريّ يقول في (الرحمن) مثل ما قلنا، أنه من أسماء الله التي مَنَعَ التسميَ بها العبادَ، حدثنا

محمد بن بشار، قال: حدثنا حماد بن مسعدة، عن عوف، عن الحسن، قال: (الرحمن اسمٌ ممنوع"[246].

2 -أخرج ابن جرير عن الحسن في مراقبة الله عند تفسير قوله تعالى: {إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}[سورة ق (50): 17، 18]

حيث روى عن ابن عبد الأعلى أنّه قال: " ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: تلا الحسن {عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ} قال: فقال: يا ابن آدم بُسِطت لك صحيفة، ووكل بك ملَكان كريمان، أحدهما عن يمينك، والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل بما شئت أقلل أو أكثر، حتى إذا متّ طويت صحيفتك، فجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة، فعند ذلك يقول: {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ}... حتى بلغ {حَسِيباً} عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك"[247].

3 -معنى الخطيئة الواردة في قوله تعالى: { بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [سورة البقرة (2): 81].

أخرج ابن جرير الطبريّ عن المثنى أنه قال: " حدثنا إسحاق قال، حدثنا وكيع ويحيى بن آدم، عن سلام بن مسكين قال: سأل رجل الحسن عن قوله: {وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ}، فقال: ما ندري ما الخطيئة، يا بني اتل القرآن، فكل آية وعد الله عليها النار، فهي الخطيئة" [248].

4 -أخرج كل من الطبريّ والقرطبيّ عن الحسن القول برؤية المؤمنين الله تعالى، فقد روى ابن جرير عن الحسن تفسير الزيادة الواردة في قوله تعالى: { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا

([246]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج1،ص133.

([247]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه،ج22، ص345.

([248]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج2، ص385.

الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}[سورة يونس (10): 26]. بأنها النظر إلى الله تعالى، فقال: "حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا هوذة قال ، حدثنا عوف، عن الحسن في قول الله: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}، النظر إلى الربّ"[249].

كما فسر النظر في قوله تعالى: { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}[سورة القيامة (75): 22،23] بأنها تنظر إلى الخالق، أخرج ابن جرير عن محمد بن إسماعيل البخاري أنَّه قال: "ثنا آدم قال: ثنا المبارك عن الحسن، في قوله: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ}، قال: حسنة {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}، قال: تنظر إلى الخالق، وحُقَّ لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق" [250].

ونقل عنه القرطبيّ في ذلك فقال: " وكان الحسن يقول: نضرت وجوههم ونظروا إلى ربهم"[251].

وكذلك روى ابن جرير له تفسير قوله تعالى: { إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ}، فبعد أنْ أورد اختلاف أهل التأويل في معنى هذه الآية، فقال بعضهم: معنى ذلك: إنهم محجوبون عن كرامته، وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنهم محجوبون عن رؤية ربهم [252]، قال: "حدثني محمد بن عمار الرازيّ، قال: ثنا أبو معمر المنقري، قال: ثنا عبد الوارث بن سعيد، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن في قوله: {كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} قال: يكشف الحجاب فينظر إليه المؤمنون كلّ يوم غُدْوة وعشية، أو كلاما هذا معناه"[253].

([249]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج15، ص67.

([250]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج24، ص72.

([251]) القرطبيّ (1985) مرجع سابق، ج19، 107.

([252]) وبعد أنْ صوب الطبري من يرى أنهم محجوبون عن رؤيته قال: " يُحتمل أن يكون مرادًا به الحجاب عن كرامته، وأنّ يكون مرادًا به الحجاب عن ذلك كله، ولا دلالة في الآية تدلّ على أنه مراد بذلك الحجاب عن معنى منه دون معنى، ولا خبر به عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قامت حجته" الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج24، ص289.

([253]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج24، ص289، 290.

ونقل القرطبيّ عن عبد الرزاق أن الحسن كان ممن يرى أنّ محمداً قد رأى ربه في الدنيا [254]، فقال: "حكى عبد الرزاق أن الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه"[255].

5 -في معنى ثمَّ يتوبون من قريب، قال تعالى: { إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}[سورة النساء (4): 17]، نقل القرطبيّ قول الحسن: " إن إبليس لما هبط قال: بعزتك لا أفارق ابن آدم ما دام الروح في جسده. قال الله تعالى: فبعزتي لا أحجب التوبة عن ابن آدم ما لم تغرغر نفسه"[256].

([254]) اختلف السلف في رؤية نبينا عليه الصلاة والسلام ربه، فقلل بإنكار هذا وامتناع رؤيته وإلى عائشة رضي الله عنها، وأنه إنما رأى جبريل: وكذلك ابن مسعود، ومثله عن أبي هريرة رضي الله عنه، فقد روى مسلم في صحيحه زهير بن حرب أنه قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن داود عن الشعبيّ عن مسروق قال: " كنت متكئا عند عائشة فقالت يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية قلت ما هن ؟ قالت من زعم أنّ محمداً صلى الله عليه و سلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية قال وكنت متكئاً فجلست فقلت يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ألم يقل الله عزّ و جلّ {ولقد رآه بالأفق المبين}[سورة التكوير (81): 23]،{ولقد رآه نزلة أخرى} [سورة النجم (53): 13] فقالت أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض فقالت أو لم تسمع أن الله يقول: {وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم}[سورة الشورى (42): 51] قالت ومن زعم أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله يقول: {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته}[سورة المائدة (5): 67] قالت ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول: {قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله}[سورة النمل (27): 65]" انظر مسلم (د.ت) صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عزَّ و جلّ:{ولقد رآه نزلة أخرى}، رقم الحديث: 177، ج1، ص195.

وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وقال جماعة منهم أبو العالية والقرظي والربيع بن أنس: إنه إنما رأى ربه بقلبه وفؤاده، وحكي عن ابن عباس أيضاً وعكرمة، وقال أبو عمر: قال أحمد بن حنبل رآه بقلبه، وعن مالك بن أنس قال: لم ير في الدنيا، لأنه باق ولا يرى الباقي بالفاني، انظر القرطبيّ (1985) مرجع سابق، ج7، ص55،56.

([255]) القرطبيّ (1985) مرجع سابق، ج7 ، ص56.

([256]) القرطبيّ (1985) المرجع نفسه، ج5، ص93.

6 -أخرج ابن جرير الطبري عن الحسن البصري في تحديد الكبائر الواردة في قوله تعالى: { إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا }[سورة النساء (4): 31] بأنها كل موجبة، وكل ما أوعد الله أهلَه عليه النار، فكبيرة، فقال: " حدثنا علي بن سهل قال، حدثنا الوليد بن مسلم، عن سالم: أنه سمع الحسن يقول: كل موجبة في القرآن كبيرة"[257].

7 -أخرج الطبريّ تفسير الحسن لقوله تعالى: { وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ}[سورة البقرة (2): 33].

قال: "حدثني المثنى بن إبراهيم، قال: أخبرنا الحجاج الأنماطي، قال: حدثنا مهدي بن ميمون ، قال: سمعت الحسن بن دينار، قال للحسن – ونحن جُلوس عنده في مترله–: يا أبا سَعيد، أرأيتَ قول الله للملائكة: {وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ}، ما الذي كتمت الملائكة؟ فقال الحسن: إن الله لّما خلق آدم رأت الملائكة خلقًا عجيبًا، فكأنهم دَخلهم من ذلك شيء، فأقبل بعضهم إلى بعض ، وأسرّوا ذلك بينهم، فقالوا: وما يُهمكم من هذا المخلوق! إن الله لن يخلق خَلقاً إلا كنا أكرمَ عليه منه" [258].

8 -أخرج ابن جرير عند تفسير قوله تعالى: { رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ }[سورة آل عمران (3): 192] قول الحسن فيمن يدخلون النار هل يخرجون منها أم لا، فقال: " حدثني المثنى قال، حدثنا أبو النعمان عارم قال، حدثنا حماد بن زيد قال، حدثنا قبيصة بن مروان، عن الأشعث الحمْليّ قال، قلت للحسن: يا أبا سعيد، أرأيت ما تذكر من الشفاعة، حق هو؟ قال: نعم حق، قال قلت: يا أبا سعيد، أرأيت قول الله تعالى:{ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا

([257]) الطبريّ (2000) مرجع سابق، ج8، ص247.

([258]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج1،ص499.

لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ }[آل عمران (3): 192]، و{ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا }[سورة المائدة (5): 37]؟ قال فقال لي: إنك والله لا تسطو على بشيء، إنّ للنار أهلاً لا يخرجون منها، كما قال الله. قال قلت: يا أبا سعيد، فيمن دخلوا ثم خرجوا؟ قال: كانوا أصابوا ذنوبًا في الدنيا فأخذهم الله بها، فأدخلهم بها ثم أخرجهم، بما يعلم في قلوبهم من الإيمان والتصديق به"[259].

9 -أخرج ابن جرير تفسير الحسن لقوله تعالى: { وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}[سورة الإسراء (14): 44]، فقال: "حدثنا ابن حميد، قال : ثنا يحيى بن واضح وزيد بن حباب، قالا ثنا جرير أبو الخطاب، قال: كنا مع يزيد الرقاشي ومعه الحسن في طعام، فقدّموا الخوان، فقال يزيد الرقاشي: يا أبا سعيد يسبح هذا الخوان: فقال: كان يسبح مرّة.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك، ويونس، عن الحسن أنهما قالا في قوله: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} قالا كلّ شيء فيه الروح"[260].

10 -تفسير الحسن لمعنى الإيمان، نقل ابن جرير عند تفسيره لقوله تعالى: {أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا}[سورة الأنفال (8): 4] أن رجلاً سأل الحسن، فقال: يا أبا سعيد، أمؤمن أنت؟ فقال له: "الإيمان إيمانان، فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار والبعث والحساب فأنا به مؤمن، وإن كنت تسألني عن قول الله تبارك وتعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ – إلى قوله – أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا } فوالله ما أدري أنا منهم أم لا"[261].

([259]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج1، ص477، 478.

([260]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج17،ص456.

([261]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج7، ص367.

المبحث الثالث: مروياتهما في الجانب الفقهي.

نشأ الإمامان في بيئة امتازت وانطبعت بالحرية في الاجتهاد بين علماء وفقهاء كانت لهم مكانتهم في تأسيس الثقافة الإسلامية، فكان من بين هؤلاء الفقهاء العظام الذين وضعوا أسس الحركة الفقهية والمذهبية، سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد وخارجة بن يزيد، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وهم من أشهر فقهاء مدينة الرسول – صلي الله عليه وسلّم – وفي مكة كان عطاء بن أبي رباح وطاووس، ومجاهد بن جبير، وعبيد بن عمير، وعمرو بن دينار، وعكرمة، وفي البصرة كا ن الحسن البصري، وأبو الشعثاء جابر بن زيد، ومحمد بن سيرين وغيرهم.

كما ظهرت مجموعة في الكوفة والشام، وظهر من هذا الكم من العلماء وتحت تأثير عوامل أخرى مدرستان مهمتان في الفقه الإسلامي:

1 –مدرسة الرأي: أو كما تسمي مدرسة العراق.

يرى أهل هذه المدرسة بأن أحكام الشرع معقولة المعنى، مشتملة على مصالح راجعة إلى العباد، وأنها بنيت على أصول محكمة وعلل ضابطة لتلك الأحكام، فكانوا يبحثون عن تلك العلل ويجعلون الحكم دائراً معها وجوداً وعدماً، ونتج عن هذا أنهم ردوا بعض الأحاديث لمخالفتها تلك العلل، وموطن هذه المدرسة هو العراق، ولذلك تسمى أيضا: مدرسة أهل العراق، وقد أرسى قواعد هذه المدرسة جملة من الصحابة – رضي الله عنهم – وفي مقدمتهم: عمر وعلي رضي الله عنهما، ثم سار على نهجهما عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ثم حمل لواء هذه المدرسة بعد جملة من فقهاء التابعين من أشهرهم: علقمة بن قيس النخعيّ الكوفيّ، وإبراهيم بن يزيد بن قيس النخعيّ الكوفيّ، وجابر بن زيد، والحسن البصريّ.

2 -مدرسة الحديث: أو مدرسة الحجاز.

وهي مدرسة تتميز بوقوف أهلها عند النصوص والآثار، ولا تحيد عنهما إلى الرأي إلا لضرورة، وموطنها: الحجاز، ولذلك تسمى: مدرسة أهل الحجاز، وتسمى أيضاً - من باب التغليب - مدرسة أهل المدينة ، وقد أرسى أسس هذه المدرسة جملة من الصحابة في مقدمتهم: زيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم، ثم حمل لواء هذه المدرسة بعد جملة من علماء التابعين ومن بعدهم أشهرهم سبعة علماء، يعرفون بالفقهاء السبعة وهم على المشهور من الأقوال: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وخارجة بن زيد بن ثابت، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وسليمان بن يسار.

ولا يعني هذا التقسيم وضع حدود فاصلة بين المدرستين، فنجد من فقهاء إحدى المدرستين مَن يجمع بينهما، فكثيراً من فقهاء العراق كان لهم نصيب من الحديث، كجابر بن زيد، والحسن البصري، وكثيراً من فقهاء الحجاز كان لهم نصيب من الرأي.

وفيما يلي عرض لتلك الروايات والشواهد في هذا الجانب عند الإمامين:

أولاً: المرويات الفقهية عند الإمام جابر بن زيد:

سبق أن أشرنا إلى طبيعة نشأة جابر بن زيد في العراق التي أثرت في تفكيره ومنهجه في العلوم بشكل عام، والفقه بشكل خاص، حيث جعلت فقهه يصطبغ بالنزعة العقلية أو الاعتماد على الرأي؛ فقد كان ممن يقول بالرأي عن د غياب النص[262].

كما أنَّ تتلمذه على يدي علماء الحجاز، ولاسيما ابن عباس – رضي الله عنهما – جعله يجمع بين المدرستين، مدرسة الرأي، ومدرسة الحديث، وهو ما سيظهر في مروياته الفقهية، التي التزم فيها بالثابت من نصوص الكتاب والسنة، فإن لم يجد فيها نصاً، اعتمد على أقوال الصحابة، فقول الصحابي عنده مقدم على قوله، فهو القائل: "ورأي من قبلنا أفضل من رأينا الذي نرى، لم يزل الآخر يعرف للأول فضله، وكانوا أحق بذلك من المهاجرين مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والتابعين لهم بإحسان، فقد شهدوا وعملوا، فالحق علينا وطء أقدامهم وأتباع آثارهم... فلعمري ما أنا إلا متعلم متبع آثار قد وطئت قبلي، وما عندي من ذلك ثقة ولا دلالة إلا رواية عسى أن نختلف فيها" [263]، وإلا لجأ إلى القياس فيما لا حكم له في كتاب الله وسنة نبيه صلي الله عليه وسلَّم، ولا أقوال الصحابة رضي الله عنهم.

1 -حكم مَنْ أوصى لغير ذي قرابة وله قرابةٌ محتاجون.

قال تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ }[سورة البقرة(2): 180].

يرى عامة أهل العلم أنّ الأفضل للموصي إذا كان له أقرباء فقراء أن يجعل فيهم وصية؛ ذلك لأنّ الورثة لهم نصيب في الإرث بقوله – صلى الله عليه وسلم –: "لا

([262]) انظر البكوش (1986) فقه الإمام جابر بن زيد، مرجع سابق، ص563.

([263]) انظر النامي (2001) دراسات عن الإباضية، مرجع سابق، ص92.

وصيةٍ لوارث"[264]، بينما غير الورثة فالوصية تكون فيهم، وروي عن الإمام جابر بن زيد فيمن وصى لغير قرابة وله أقرباء فقراء عن محمد بن بشار قال، حدثنا معاذ بن هشام قال، حدثني أبي، عن قتادة، عن جابر بن زيد: في رجل أوصى لغير ذي قرابة وله قرابةٌ محتاجون، قال: " يُرَدّ ثلثا الثلث عليهم، وثلث الثلث لمن أوصى له به"[265].

وهو قول داود الظاهريّ، وابن حزم، وحكي ذلك عن قتادة، ومسروق، وإياس ابن معاوية [266]، واحتجوا بهذه الآية، وبحديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما حق امرئ مسلم يبيت ليلتين و له ما يوصي فيه إلا وصيته مكتوبة عنده"[267].

وقالوا نسخت الوصية للوالدين والأقربين الوارثين بآية الفرائض، وبقي حكم الآية المستدل بها فيمن لايرث من الأقربين [268].

2 -في معنى"الخوف" من الزوجين ألا يقيما حدود الله.

في قوله سبحانه وتعالى: {الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[سورة البقرة (2): 229].

([264]) الحديث أخرجه الترمذيّ و قال: حديث حسن صحيح، انظر الترمذيّ (د.ت) الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الوصايا، باب لا وصيةٍ لوارث، رقم الحديث:2120، ج4، ص 433، 434.

([265]) الطبريّ (2000) مرجع سابق، ج3، ص387.

([266]) انظر ابن قدامة المقدسيّ (1972) **المغني**، بيروت: لبنان، دار الكتاب العربي، د.ط، ج6، ص415.

- انظر البكوش (1986) مرجع سابق، ص569.

([267]) الحديث أخرجه الترمذيّ وقال: حديث حسن صحيح، انظر الترمذيّ (د.ت) الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الوصايا، باب ما جاء في الحث على الوصيةٍ، رقم الحديث: 2118، ج4، ص 432.

([268]) انظر البكوش (1986) مرجع سابق، ص569.

يرى بعض العلماء أنّ معنى الخوف منهما أنْ لا يقيما حدود الله، هو أنْ يظهر من المرأة سوء الخلق والعشرة لزوجها، فإذا ظهر ذلك منها له، حل له أنْ يأخذ ما أعطته من فدية على فراقها، وكان جابر ممن يرى ذلك ، فقد أخرج ابن جرير عن يعقوب أنّه قال: "حدثنا ابن علية عن ابن جريج قال: أخبرني عمرو بن دينار قال، قال جابر بن زيد: إذا كان الشر من قِبَلِها حَلَّ الفداء"[269].

3 -مقدار ما يطعم المسكين في كفارة اليمين.

قال سبحانه وتعالى: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ}[سورة المائدة (5): 89].

اختلف العلماء في مقدار ما يطعم المسكين في كفارة اليمين، فذهب بعضهم إلى أنّ مبلغ ذلك، نصفُ صاع من حنطة، أو صاعٌ من سائر الحبوب، روى ابن جرير عن يعقوب أنّه قال: "حدثنا ابن علية قال، حدثنا سعيد بن يزيد أبو مسلمة قال: سألت جابر بن زيد عن إطعام المسكين في كفارة اليمين، فقال: أكلة، قلت: فإن الحسن يقول: مكُّوك برّ ومكوك تمر، فما ترى في مكُّوك بر؟ فقال: إن مكوك برّ!! قال يعقوب قال، ابن علية: وقال أبو مسلمة بيده، كأنه يراه حسنًا "[270]، فاكتفى جابر بقوله: إن مكوك بر، وقطع الكلام، وأشار بيده إلى أنه حسن كاف.

4 -حكم السمك الطافي.

قال سبحانه وتعالى: { أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}[سورة المائدة (5):96].

([269]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج 4، ص 558.

([270]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج10، ص536.

روى ابن جرير قول جابر في حكم هذه المسألة عند ذكره لأقوال من يرى أنّ معنى قوله: {وَطَعَامُهُ}، المليح من السمك (المملح)، أي : أحل لكم سمك البحر ومَليحه في كل حال، في حال إحلالكم وإحرامكم، فقال: "حدثنا عمرو بن عبد الحميد وسعيد بن الربيع الرازي قالا حدثنا سفيان، عن عمرو قال ، قال جابر بن زيد: كنا نُحَدَّث أنّ {طعامه} مليحه، ونكره الطافي منه" [271]، وهو قول علي بن أبي طالب، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عباس، وعطاء، وسعيد بن المسيب، والحسن البصري، وابن سيرين، وقال الحنفية والهادوية: إنه لا يح ل منه إلا ما مات بسبب آدمي أو إلقاء الماء له أو جزره عنه، وأما ما كان العكس فلا يحل إن مات أو قتله حيوان غير آدمي، وذهب آخرون إلى أنّه لا بأس بأكله، وه و مذهب جمهور الفقهاء وإليه ذهب مالك والشافعي من الأئمة[272].

5 -الإفطار في السفر.

يقول سبحانه وتعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[سورة البقرة(2) : 185].

اختلف علماء السلف في هذه المسألة، فذهبت طائفة إلى أنّ الصوم أفضل لمن قوي عليه، فقد روى ابن جرير عن جابر بن زيد ومن يرى رأيه أنّ الإفطار في السفر عَزْمة من الله واجبةٌ، وليسَ بترخيص، فقال: "حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا ابن أبي عدي وحدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية جميعًا، عن سعيد، عن قتادة، عن جابر بن زيد، عن ابن عباس قال: الإفطارُ في السفر عَزْمة"[273].

([271]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج11، ص 65.

([272]) انظر البكوش (1986) مرجع سابق، ص563.

([273]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج3، ص460.

وعلة هذا القول: أنّ الله تعالى فرَضَ بقوله: {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} صومَ شهر رمضان على من شهده مُقيمًا غير مسافر، فكما غيرُ جائز للمقيم إفطارُ أيام شهر رمضان وَصَوم عدة أيام أخر مكانها؛ لأنّ الذي فرضَه الله عليه بشهوده الشهرَ صومُ الشهر دون غيره، وجعل على من كان مريضًا أو مسافرًا صومَ عدة من أيام أخر غير أيام شهر رمضان بقوله: {وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ}، فكذلك غير جائز لمن لم يشهده من المسافرين مقيماً صوْمُه؛ لأن الذي فرضه الله عليه عدة من أيام أخر[274].

وذهبت طائفة أخرى إلى أنّ المسافرَ مخير بينهما (الفطر والصيام) لكن الفطر أحسن وأفضل، وإنْ كان يطيق الصيام من غير ضرر، فإباحة الإفطار في السفر رخصة من الله تعالى، رخصها لعباده، والفرضُ الصوم، فمن صام فرضَه أدَّى، ومن أفطر فبرُخصة الله له أفطر، قالوا: وإن صام في سفر فلا قَضاءَ عليه إذا أقام، واحتج أصحاب هذا الرأي بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ليس من البرِّ الصو مُ في السفرِ"[275].

وقد نقل الطبريّ في كتابه تهذيب الآثار عن جابر بن زيد أنّه كان يصوم في السفر[276]، وجاء في شرح هذا الكتاب (شرح معاني الآثار) أنّ جابراً سئل عن صيام رمضان في السفر فقال: " يصوم من شاء إذا استطاع ذلك ما لم يتكلف أمراً يشق عليه، وإنما أراد الله تعالى بالإفطار التيسير على عباده" [277].

([274]) انظر الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج3، ص346.

([275]) انظر البخاريّ (د.ت)صحيح البخاريّ، كتاب الصوم، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِمَنْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ وَاشْتَدَّ الْحَرُّ لَيْسَ مِنْ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ، رقم الحديث:1946، ج3، ص34.

([276]) انظر الطبريّ (د.ت) تهذيب الآثار، ج1، ص328، نقلاً عن البكوش (1986) مرجع سابق، ص282.

([277]) نقلاً عن البكوش (1986) مرجع سابق، ص282.

6 -حكم النظر إلى المرأة بشهوة في رمضان.

يقول سبحانه وتعالى:{ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}[سورة النور(24): 30]

اختلف العلماء في حكم من أمعن النظر إلى المرأة بشهوة في نهار رمضان حتى أنزل هل يجب عليه كفارة أم لا، أما النظر دون إنزال فلا يفسد الصوم بلا خلاف. وأما النظر الذي يؤدي إلى الإنزال، فذهبت طائفة من العلماء إلى أنّه لا يفسد الصوم، وهو قول جابر بن زيد والثوريّ والشافعيّ وأبو ثور وأصحاب الرأي، فقالوا لا قضاء عليه ولا كفارة، وقد نقل ذلك القرطبيّ عن ابن المنذر قوله: " وقال جابر بن زيد والثوريّ والشافعيّ وأبو ثور وأصحاب الرأي فيمن ردد النظر إلى المرأة حتى أمنى: فلا قضاء عليه ولا كفارة، قاله ابن المنذر" [278]، وحجتهم أنه إنزال بفكر دون مباشرة، أشبه الإنزال بالفكر.

وروي عن جابر أيضاً أنّه يفسد الصوم، وأوجبوا على صاحبها الكفارة، وإلى ذلك ذهب أحمد ومالك، ونس ب إلى عطاء والحسن وغيرهم، وحجتهم أنّه إنزال يتلذذ به، ويمكن التحرز منه بعدم إدامة أو تكرار النظر؛ لأنّه يمكن التحرز منه، فأفسد الصوم كالإنزال باللمس، والفكر لا يمكن التحرز منه بخلاف تكرار النظر [279].

7 -حكم اعتداد المتوفى عنها في بيتها.

قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}[سورة البقرة (2): 228].

([278]) القرطبيّ (1985) مرجع سابق،ج2،ص325.

([279]) انظر البكوش (1986) مرجع سابق، ص300.

اختلف العلماء في اعتداد المتوفى عنها في بيتها، فقد نقل القرطبيّ عن جابر بن زيد أن المتوفى عنها زوجها ليس عليها أن تعتد في بيتها، وتعتد حيث شاءت؛ لأن السكنى إنما ورد به القرآن في المطلقات، وروي ذلك عن على وابن عباس وجابر وعائشة، وهو قول الحسن البصريّ، وداود [280].

وحجتهم في ذلك ما روي عن ابن عباس في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا...} الآية وقالوا: نسخ ذلك بآية الميراث، بما فرض الله لها من الربع والثمن، ونسخ أجل الحول أن جعل أربعة أشهر وعشراً[281].

8 -حكم صلاة المأمومين قعوداً إذا صلى إمامهم قاعداً.

نقل القرطبي رأيّ جابر في حكم صلاة المأمومين قعوداً إذا صلى إمامهم قاعداً، عند حديثه عن اختلاف العلماء في المأموم الصحيح يصلى قاعداً خلف إمام مريضٍ لا يستطيع القيام، فأجازت ذلك طائفة من أهل العلم بل جمهورهم، لقوله صلى الله عليه وسلم في الإمام: " وإذا صلى جالساً فصلوا جلوساً أجمعون" [282]، فقال: "وبه قال جابر بن زيد والأوزاعيّ ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل وإسحاق ابن إبراهيم وأبو أيوب سليمان بن داود الهاشميّ وأبو خيثمة وابن أبى شيبة ومحمد بن إسماعيل ومن تبعهم من أصحاب الحديث مثل محمد بن نصر ومحمد بن إسحاق بن خزيمة، وهذه

([280]) انظر القرطبيّ (1985) مرجع سابق، ج3، ص177.

([281]) قال أبو داود حديث حسن، انظر أبو داود (د.ت) سنن أبي داود، مرجع سابق، كتاب الطلاق، باب نسخ متاع المتوفى عنها زوجها..، رقم الحديث: 2298، ج1، ص700.

([282]) انظر البخاريّ (د.ت) صحيح البخاريّ، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب إنما جعل الإمام ليؤتم به، رقم الحديث: 689، ج1، ص140.

السنة رواها عن المصطفى صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك وعائشة وأبو هريرة وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عمر بن الخطاب وأبو أمامة الباهلي" [283].

9 -في طلاق العبد المملوك.

قال الله تعالى: { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }[سورة النحل(16):75].

نقل القرطبيّ عن جابر بن زيد أن طلاق العبد بيد سيده، قال القرطبيّ: " قال أبو عمر: على هذا مذهب جماعة فقهاء الأمصار بالحجاز والعراق، و لم يختلف عن ابن عباس أنّ الطلاق بيد السيد، وتابعه على ذلك جابر بن زيد وفرقة" [284].

وقد نقله ابن حزم عن عمرو بن دينار عن أبي الشعثاء أنّه قال لا طلاق لعبد إلا بإذن سيده، فإن طلق اثنتين لم يجزه سيده إن شاء، وهو قول جابر ابن عبد الله وابن عباس[285].

10 -حكم نكاح الرجل ممن زنى بها.

يقول سبحانه وتعالى: {ا لزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}[سورة النور (24): 3] .

اختلف العلماء في حكم نكاح الرجل ممن زنى بها، وقد روي عن جابر بن زيد في ذلك ثلاث رويات نقل الأولى القرطبيّ، فقال: " وأهل الفتيا يقولون: إن من زنى

([283])انظر القرطبيّ (1985) مرجع سابق، ج3، ص219.

([284]) القرطبيّ (1985) مرجع سابق، ج5،ص142.

([285]) انظر القرطبيّ (1985) المرجع نفسه،ج5،ص142.

- وانظر ابن حزم (د.ت) **المحلى** (تح: أحمد شاكر) بيروت: لبنان، المكتب التجاري، د.ط،ج10، ص230.

- وانظر البكوش (1986) مرجع سابق، ص427.

بامرأة فله أن يتزوجها ولغيره أن يتزوجها، وهو قول ابن عمر وسالم وجابر بن زيد وعطاء وطاوس ومالك بن أنس، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه" [286].

ونقل الرواية الثانية ابن خلفون [287]، وهي أن ذلك حرام، وأنّه لا يحل بأي حال، وعنده أنّ الحرام يحرم الحلال، وأنّ ما حرم الحلال فالحرام أشدُّ تحريماً [288]. وهو قول جمهور الإباضية، ونقلوا ذلك عن ابن مسعود، وعائشة، والبراء بن عازب، وعلي، وأبي هريرة، وجابر بن عبد الله، والحسن البصري، وابن سيرين، وإبراهيم النخعيّ [289].

ونقل الرواية الثالثة ابن قدامة، وهي تحرم الزانية حتى تتوب، وتنقضي عدتها، فإذا وُجِدَ الشرطان حلّ نكاحها للزاني وغيره [290]، وهو قول أكثر أهل العلم، منهم أبو بكر، وعمر، وابنه، وابن عباس، وعطاء، والحسن، وعكرمة، والزهري، والثوري، والشافعي، وابن المنذر، وأصحاب الرأي [291].

([286]) انظر القرطبي (1985) المرجع نفسه، ج12، ص169.

([287])أبو يعقوب يوسف بن خلفون المزاتي الوارجلانيّ: من فقهاء الإِبَاضِيَّة في القرن السادس بالمغرب الإِسلاَمِيِّ، (الطبقة: 550-600هـ / 1155-1203م)، ينتسب إلى قبيلة مزاتة البربريَّة، كان واسع الأفق، مولعًا بالدراسات المقارنة، مهتمًّا بدارسة الآراء الفِقْهِيَّة لمختلف المذاهب الإِسلاَمِيَّة، مطَّلعا عَلَى كتب أهل الخلاف، وصفه الدرجينيُّ بأَنَّهُ: «المحقِّق الوصول إِلَى الغاية في علم الفروع والأصول» (1)، أجوبة فقهيَّة (أجوبة ابن خلفون):هي رسالة حقَّقها الدكتور عمرو خليفة النامي. انظر الدرجيني (د.ت) الطبقات، مرجع سابق، ج 2، ص495. انظر مقدمة الدكتور عمرو النامي على كتاب **أجوبة ابن خلفون** (1974) بيروت: لبنان، دار الفتح، ط1، ص 18.

([288]) انظر ابن خلفون المزاتيّ (1974) **أجوبة ابن خلفون** (تح: عمر خليفة النامي) بيروت: لبنان، دار الفتح، ط 1، ص35، 36.

([289]) انظر البكوش (1986) مرجع سابق، ص379.

- انظر القرطبيّ (1985) مرجع سابق، ج12، ص170.

([290]) انظر ابن قدامة المقدسي (1972) **المغني**، مرجع سابق، ج7، ص518.

([291]) انظر القرطبيّ (1985 مرجع سابق، ج12، ص170.

11 -الفرقة التي تقع بعد فراغ الزوجين المتلاعنين من اللعان.

قوله تعالى: { وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ}[سورة النور (24): 6].

اختلف العلماء في الفرقة التي تقع بعد فراغ الزوجين المتلاعنين من اللعان، هل تقع بمجرد اللعان أم بالطلاق، أم بتفريق الحاكم بينهما، فنقل القرطبيّ أنّ جابراً كان لا يرى التلاعن ينقص شيئاً من عصمة الزوجين حتى يطلق، عند إيراده لقول عثمان البتي، فقال: " وكان عثمان البتي لا يرى التلاعن ينقص شيئاً من عصمة الزوجين حتى يطلق، وهذا قول لم يتقدمه إليه أحد من الصحابة، على أنّ البتي قد استحب للملاعن أن يطلق بعد اللعان، و لم يستحسنه قبل ذلك، فدل على أنّ اللعان عنده قد أحدث حكماً، وبقول عثمان قال جابر بن زيد فيما ذكره الطبريّ، وحكاه اللخمي عن محمد ابن أبي صفرة"[292]، و لم أجده عند الطبريّ كما ذكر القرطبيّ.

وهو قول أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن، والثوريّ، لقول ابن عمر: فرق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بين المتلاعنين، فأضاف الفرقة إليه، ولقوله عليه السلام: "لا سبيل لك عليها"[293].

وقال مالك وأصحابه: وبتمام اللعان تقع الفرقة بين المتلاعنين، فلا يجتمعان أبداً، ولا يتوارثان، ولا يحل له مراجعتها أبداً لا قبل زوج ولا بعده، وهو قول الليث بن سعد وزفر بن الهذيل والأوزاعيّ.

([292]) القرطبيّ (1985) مرجع سابق، ج12،ص194.

([293]) انظر مسلم بن الحجاج (د.ت) صحيح مسلم، كتاب اللعان، رقم الحديث: 1493، *ج 2، ص1130.*

وقال الشافعيّ: إذا أكمل الزوج الشهادة والالتعان فقد زال فراش امرأته، التعنت أو لم تلتعن[294].

12 -**متعة المطلقة قبل البناء.**

يقول سبحانه وتعالى:{ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ}[سورة البقرة (1): 236].

نقل القرطبيّ قول جابر بن زيد بوجوب متعة المطلقة قبل البناء والفرض، وبندبها في حق غيرها، وذلك عند إيراده لا ختلاف العلماء في الضمير المتصل بقوله: {وَمَتِّعُوهُنَّ } من المراد به من النساء ؟ فقال: "واختلفوا في الضمير المتصل بقوله: {وَمَتِّعُوهُنَّ } من المراد به من النساء ؟ فقال ابن عباس وابن عمر وجابر بن زيد والحسن والشافعيّ وأحمد وعطاء وإسحاق وأصحاب الرأي: المتعة واجبة للمطلقة قبل البناء والفرض، ومندوبة في حق غيرها" [295].

والناظر في هذه المرويات يدرك مدى اهتمام الإمام جابر في استنباط الحكم الشرعي وتقرير المسائل وتخرجها من أصولها ومنابعها الأصلية: الكتاب، والسنة، وأقوال الصحابة، فإنّ لم يجد فيها مستنداً لتخريج بعضها لجأ إلى المقاصد الشرعية الأصيلة معتمداً على المنهج المحمديّ الذي بلغه بواسطة الصحابة مع مراعاة جوانبه المصلحية المعتبرة، فقد كان أثر مدرسة الرأي واضحاً فيها، كما أنّ تتلمذه على ابن عباس، وكثرة ارتحاله للحجاز لم يكن أقل أثراً في نهجه وتفكيره الفقهي.

([294]) انظر القرطبيّ (1985) مرجع سابق،ج12، ص 193،194.

([295]) القرطبيّ (1985) المرجع نفسه، ج3، ص200

ثانياً: المرويات الفقهية عند الإمام الحسن البصريّ:

يعدُّ الإمام الحسن البصريّ من البارزين في التفسير والحديث، وقمة في الفقه بمعناه العام والخاص شأنه في ذلك شأن علماء التابعين الذين عاصرهم.

كما أنه من المؤسسين لمدرسة البصرة وعلمها ومذهبها مثله مثل سعيد بن المسيب، وجابر بن زيد، وسعيد بن جبير وغيرهم، حيث يجد المتصفح لكتب التفسير والفقه المقارن كثيراً من النقول عن الإمام الحسن – رحمه الله – في الأحكام الفقهية وبيان آرائه في ذلك، وقد قال حميد ويونس بن عبيد: "قد رأينا الفقهاء، فم ا رأينا منهم أجمع من الحسن" [296].

من هذا القول وغيره مما سبق أن ذكرنا يتضح لنا جلياً أنّ علم الفقه من أبرز العلوم التي نبغ فيها الحسن رحمه الله وتميز به بشهادة العلماء له بالسبق فيه والتقدم. يقول المزنيّ: "من سره أن ينظر إلى أفقه من رأينا فلينظر إلى الحسن" [297].

فهو إمام مجتهد في الفقه، يرجع إليه في معرفة الأحكام، مكثراً فيه، حتى حمل من فقهه أبو سلمة وحده ثمانية آلاف مسألة، حيث قال: "حفظت عن الحسن ثمانية آلاف مسألة"[298].

وفيما يلي بعض النماذج والمرويات التفسيرية التي تأكد سعة فقهه وتبحره.

1 -كيفية التعامل مع اليتامى والتصرف في أموالهم.

يقول سبحانه وتعالى: {وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا}[سورة النساء (4) : 6].

([296]) انظر ابن سعد (1968) طبقات ابن سعد، مرجع سابق، ج7، ص 162.

([297]) انظر الذهبيّ (1993) سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج4، ص578.

([298]) الذهبيّ (1993) سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج4، ص577.

أورد ابن جرير الطبريّ رأي الحسن في كيفية التعامل مع اليتيم بالمعروف، وهو جواز أنْ يأكل من جميع المال، إذا كان يلي ذلك، وإنْ أتى على المال، ولا قضاء عليه، وذلك عند ذكره لا ختلاف العلماء في معنى: أكلِه بالمعروف ، مكتفياً بإيراد رواية الحسن لحديث عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – دون تعقيب منه، أو توضيح، فقال: "حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن الحسن البصريّ قال: قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: إنَّ في حجري يتيمًا، أفأضربه؟ قال: فيما كنت ضاربًا منه ولدك؟ قال: أفأصيب من ماله؟ قال: بالمعروف، غير متأثِّل مالاً ولا واقٍ مالك بماله كم " [299].

2 -**جواز خلع الرجل من امرأته إذا زنت.**

يقول سبحانه وتعالى:{ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آَتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} [سورة النساء(4): (19)].

أخرج ابن جرير قول الحسن في معنى"الفاحشة" التي ذكرها الله جلَّ ثناؤه في هذا الموضع، وأنّ حكم المرأة إذا زنت يحل للرجل عضلها والضرارُ بها، لتفتدي منه بما آتاها من صداقها، فقال: "حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال: أخبرني عبد الكريم: أنه سمع الحسن البصريّ: {إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ

([299]) انظر الطبريّ (2000) مرجع سابق، ج7-ص593.

– والحديث رواه البيهقيّ مرسلاً في السنن الكبرى عن عمرو بن دينار عن الحسن العربيّ أنّ رجلاً قال: " يا رسول الله مم أضرب منه يتيمي قال مما كنت منه ضاربا ولدك قال أفأصيب من ماله قال غير متأثل مالاً ولا واق مالك بماله". انظر أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (1994) **سنن البيهقي الكبرى** (تح: محمد عبد القادر عطا)، السعودية: مكة المكرمة، مكتبة دار الباز، باب الولي يأكل من مال اليتيم مكان قيامه عليه بالمعروف إذا كان فقيراً، رقم الحديث: 10776، ج 6، ص 4.

بِفَاحِشَةٍ}، قال: الزنا. قال: وسمعت الحسن وأبا الشعثاء يقولان: فإن فعلت، حلَّ لزوجها أن يكون هو يسألها الخُلْع، تفتدي نفسها" [300].

3 -حكم الفطر لمن نوى السفر.

قال تعالى: {أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَام}.[سورة البقرة(2):- 184]

اتفق العلماء على أن المسافر في رمضان لا يجوز له أنْ يُبيت الفطر، لأنَّ المسافر لا يكون مسافراً بالنية بخلاف المقيم، وإنما يكون مسافراً بالعمل والنهوض، والمقيم لا يفتقر إلى عمل، لأنه إذا نوى الإقامة كان مقيماً في الحين، لأن الإقامة لا تفتقر إلى عمل فافترقا.

وقد نقل القرطبيّ قول الحسن البصريّ فيمن نوى السفر جواز أنْ يفطر إنْ شاء في بيته يوم يريد أنْ يخرج [301].

ونقل عنه في معنى قوله تعالى: { وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَام}أنّ الحامل والمرضع بمنزلة المريض يفطران ولا إطعام عليهما، فقال: " وقال الحسن البصريّ وعطاء بن أبي رباح والضحاك والنخعيّ والزهريّ وربيعة والأوزاعيّ وأصحاب الرأي: الحامل والمرضع يفطران ولا إطعام عليهما، بمنزلة المريض يفطر ويقضي، وبه قال أبو عبيد وأبو ثور، وحكى ذلك أبو عبيد عن أبي ثور، واختاره ابن المنذر، وهو قول مالك في الحبلى إنْ أفطرت، فأما المرضع إنْ أفطرت فعليها القضاء والإطعام" [302].

4 -فيما ينبغي فعله في المشركة إذا سبيت.

قال الله عزَّ وجلَّ: { وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ}[سورة البقرة (1): 221].

([300]) الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج8ـص106.

([301]) انظر القرطبيّ (1985) مرجع سابق، ج2، ص279.

([302]) القرطبيّ (1985) المرجع نفسه، ج2، ص283.

أورد القرطبيّ قول الحسن فيما ينبغي فعله في المشركة إذا سبيت عند تفسيره لهذه الآية، فقال: وقد جاء عن الحسن البصريّ – وهو ممن لم يكن غزوه ولا غزو ناحيته إلا الفرس وما وراءهم من خراسان، وليس منهم أحد أهل كتاب – ما يبين لك كيف كانت السيرة في نسائهم إذا سبين، قال: أخبرنا عبد الله بن محمد بن أسد، قال: حدثنا إبراهيم بن أحمد بن فراس، قال: حدثنا على بن عبد العزيز، قال: حدثنا أبو عبيد، قال: حدثنا هشام عن يونس عن الحسن، قال: قال رجل له: يا أبا سعيد كيف كنتم تصنعون إذا سبيتموهن ؟ قال: كنا نوجهها إلى القبلة ونأمرها أن تسلم وتشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، ثم نأمرها أنْ تغتسل، وإذا أراد صاحبها أن يصيبها لم يصبها حتى يستبرئها، وعلى هذا تأويل جماعة العلماء في قول الله تعالى: {وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ} أنّهنّ الوثنيات والمجوسيات، لأنّ الله تعالى قد أحل الكتابيات بقوله: {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ}[سورة المائدة (5): 5]، يعنى العفائف، لا من شهر زناها من المسلمات"[303].

5 -حكم ترك الحج مع القدرة عليه.

يقول تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}[سورة آل عمران (2):97].

نقل القرطبيّ قول الحسن في حكم من ترك الحج، وهو قادر عليه عند تفسيره لهذه الآية، فقال: "وقال الحسن البصريّ وغيره: إنَّ مَنْ ترك الحج وهو قادر عليه فهو كافر... وروى قتادة عن الحسن قال: قال عمر رضي الله عنه: لقد هممت أنْ أبعث رجالاً إلى الأمصار فينظرون إلى من كان له مال و لم يحج فيضربون عليه الجزية، فذلك قوله تعالى: {وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}"[304].

([303]) انظر القرطبيّ (1985) المرجع نفسه، ج2، ص289.

([304]) القرطبيّ (1985) المرجع نفسه، ج4، ص153.

وفسّر ابن عباس وغيره الكفر الوارد في الآية بمن كفر بفرض الحج و لم يره واجباً[305] وقال سعيد بن جبير: لو مات جارٌ لي وله ميسرة و لم يحج لم أصل عليه.

وقد عقب القرطبيّ على ذلك بقوله: هذا خرج مخرج التغليظ، ولهذا قال علماؤنا: تضمنت الآية أنّ من مات و لم يحج وهو قادر فالوعيد يتوجه عليه، ولا يجزئ أنْ يحج عنه غيره، لأنّ حج الغير لو أسقط عنه الفرض لسقط عنه الوعيد[306].

6 -القصد من أمر الله تعالى نبيه بالمشاورة.

قال تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}[سورة آل عمرآن (3): 159].

نقل القرطبيّ عن الحسن قوله في معنى قول الله تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ } يكون فيما لم يأته فيه وحي، فقال: " روي ذلك عن الحسن البصريّ والضحاك قالا: ما أمر الله تعالى نبيه بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم، وإنما أراد أنْ يعلمهم ما في المشاورة من الفضل، ولتقتدي به أمته من بعده.. وقال الحسن: والله ما تشاور قوم بينهم إلا هداهم لأفضل ما يحضر بهم"[307].

وروي عن قتادة والربيع وابن إسحاق والشافعيّ، أنّ التشاور في مكائد الحروب، وعند لقاء العدو، وتطييباً لنفوسهم، ورفعا لأقدارهم، وتألفاً على دينهم، وإن كان الله تعالى قد أغناه عن رأيهم بوحيه.

وقال مقاتل وقتادة والربيع: كانت سادات العرب إذا لم يشاوروا في الأمر شق عليهم: فأمر الله تعالى، نبيه عليه السلام أن يشاورهم في الأمر: فإنّ ذلك أعطف لهم عليه، وأذهب لإضغانهم، وأطيب لنفوسهم، فإذا شاورهم عرفوا إكرامه لهم[308].

([305]) انظر القرطبيّ (1985) المرجع نفسه، ج4، ص153.

([306]) انظر القرطبيّ (1985) المرجع نفسه، ج4، ص154.

([307]) القرطبيّ (1985) المرجع نفسه، ج4، ص250.

([308]) انظر القرطبيّ (1985) المرجع نفسه، ج4، ص250.

7 -**نكاح العبد المملوك بإذن سيده.**

قال سبحانه وتعالى: {فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ}[سورة النساء (4): 25].

نقل القرطبيّ رأي الحسن في حكم نكاح العبد المملوك بغير إذن سيده عند تفسيره لهذه الآية فقال بعد ذكره عدم صحة ينكح العبد بغير إذن سيده، لأن العبد مملوك لا أمر له، وبدنه كله مستغرق، فإذا تزوج العبد بغير إذن سيده فإن أجاز السيد جاز: " وهو قول الحسن البصريّ وعطاء بن أبن رباح وسعيد ابن المسيب وشريح والشعبي" [309]، والأَمة إذا تزوجت بغير إذن أهلها فسخ و لم يجز بإجازة السيد، لأن نقصان الأنوثة في الأمة يمنع من انعقاد النكاح البتة، وقال الشافعيّ والأوزاعيّ وداود بن علي، إذا نكح العبد بغير إذن سيده فسخ نكاحه، ولا تجوز إجازة المولى إن لم يحضره، لان العقد الفاسد لا تصح إجازته، فإن أراد النكاح استقبله على سنته [310].

8 -**القيمة التي بها تقطع يد السارق.**

قال تعالى: { والسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }[سورة المائدة(5): 38].

أورد القرطبيّ ثلاث روايات عن الحسن البصريّ في المقدار الذي تقطع به يد السارق: الرواية الأولى: أنَّ اليد تقطع في كل ما له قيمة على ظاهر الآية، وهو قول الخوارج، الرواية الثانية: لا تقطع الخمس إلا في خمس، كما روي عن عمر وبه قال سليمان بن يسار وابن أبي ليلى وابن شبرمة، وقال أنس بن مالك: قطع أبو بكر -رحمه الله - في مجن قيمته خمسة دراهم.

الرواية الثالثة: أنها تقطع في درهمين، كما حكاها قتادة عنه أنه قال: تذاكرنا القطع في كم يكون على عهد زياد ؟ فاتفق رأينا على درهمين [311].

([309]) القرطبيّ (1985) المرجع نفسه، ج5، ص41.

([310]) القرطبيّ (1985) المرجع نفسه، ج5، ص41.

([311]) القرطبيّ (1985) المرجع نفسه، ج6، ص161.

9 -في نجاسة المشرك.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا}[سورة التوبة(9): 28].

نقل القرطبيّ عن الحسن البصريّ قوله بنجاسة المشرك، وبوضوء من صافحه أخذاً بقول ابن عباس وغيره أنّ معنى الشرك هو الذي نجسه، فقال: " قال الحسن البصريّ من صافح مشركاً فليتوضأ"[312]، وقال قتادة ومعمر بن راشد وغيرهما: لأنّه جنب إذ غسله من الجنابة ليس بغسل [313].

10 -حد الفقر الذي يجوز معه أخذ الزكاة.

قال تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[سورة التوبة(9): 60].

أورد القرطبيّ اختلاف العلماء في حد الفقر الذي يجوز معه الأخذ – بعد إجماع أكثر من يحفظ عنه مرهم – أنّ من له داراً وخادماً لا يستغني عنهما أنَّ له أنْ يأخذ من الزكاة، وللمعطي أن يعطيه.

ونقل عن الحسن قوله في تحديد القيمة التي يكون بها الرجل فقيراً، ومن ثم مستحقاً للزكاة، فقال: " وقال الحسن البصريّ: لا يأخذ من له أربعون درهماً" [314]. وهو قول مالك رواه الواقديّ [315]، وحجة هذا القول ما رواه الدارقطنيّ عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – أنَّه قال: "سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم –

([312]) القرطبيّ (1985) المرجع نفسه، ج8، ص103.

([313]) انظر القرطبيّ (1985) المرجع نفسه، ج8:ص103

([314]) القرطبيّ (1985) مرجع سابق، ج8، ص172.

([315]) انظر القرطبيّ (1985) مرجع سابق، ج8، ص172.

يقول: من سأل الناس وهو غني جاء يوم القيامة وفي وجهه كدوح وخدوش، فقيل: يا رسول الله وما غناه؟ قال: أربعون درهما، أو قيمتها ذهباً" [316].

وقال الثوريّ وأحمد وإسحاق وغير هم: لا يأخذ من له خمسون درهماً أو قدرها من الذهب، ولا يعطي منها أكثر من خمسين درهماً إلا أن يكون غارما، قاله أحمد وإسحاق.

وقال الشافعيّ وأبو ثور: من كان قوياً على الكسب والتحرُّف مع قوة البدن وحسن التصرف حتى يغنيه ذلك عن الناس فالصدقة عليه حرام[317].

والمتتبع لمرويات الحسن يدرك أنه كان إماماً في الفقه له اجتهاداته الخاصة في استنباط الأحكام الشرعية التي انفرد بها عمن سبقه، ومن عاصره من الفقهاء، فهو يسير على منهج عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – في التفكير الفقهيّ، والمعروف أن منهج عبد الله بن مسعود كمنهج عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فكلاهم ا

([316]) انظر علي بن عمر الدارقطنيّ (1966)**سنن الدارقطنيّ** (تح: عبد الله هاشم يماني المدني) كتاب الزكاة، باب الغنى التي يحرم السؤال، بيروت: لبنان، دار المعرفة، رقم الحديث: 4، ج2، ص121.

وفي رواية "خمسون درهما" قال الدارقطنيّ: " عن عبد الله بن مسعود عن النبي – صلى الله عليه وسلم– نحوه وقال: " خمسون درهما" قال الشيخ الأول وهم قوله عن أبي إسحاق وإنما هو حكيم بن جبير وهو ضعيف تركه شعبة وغيره... عن حكيم بن جبير عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: من سأل وله غنى جاء يوم القيامة وفي وجهه كدوح أو خدوش أو خموش قيل وما غناه يا رسول الله قال خمسون درهما أو قيمتها من الذهب حكيم بن جبير متروك ".

الدارقطنيّ (1966)**سنن الدارقطنيّ** المرجع نفسه، كتاب الزكاة، باب الغنى التي يحرم السؤال، رقم الحديث: 5، 6، ج2، ص122.

وروى الترمذيّ عن حكيم بن جبير عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن عبد الله بن مسعود أنَّه قال: " قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح قيل يا رسول الله وما يغنيه ؟ قال خمسون درهما أو قيمتها من الذهب" ثم قال: "حديث ابن مسعود حديث حسن وقد تكلم شعبة في حكيم بن جبير من أجل هذا الحديث".

انظر الترمذيّ (د.ت) **الجامع الصحيح** ، مرجع سابق، كتاب الزكاة، باب من تحل له الزكاة ، رقم الحديث: 650، ج3، ص40.

([317]) انظر القرطبيّ (1985) مرجع سابق، ج8، ص172.

يلتمس مقاصد الشارع من الأحكام أكثر من تلمسه ألفاظه في النصوص، فكان مذهبه مذهب أصحاب الرأي مثله مثل جابر بن زيد، فهما دعامتا ن أساسيتان في تأسيس مدرسة الرأي في البصرة.

الفصل الرابع

مرويات التفسير عند الإمامين: دراسة مقارنة.

المبحث الأول: منهج الإمام جابر بن زيد في الرواية.

المبحث الثاني: منهج الإمام الحسن البصريّ في الروية.

المبحث الثالث: مقارنة بين منهج الإمامين في الرواية.

المبحث الأول: منهج الإمام جابر بن زيد في الرواية.

يعدُّ الإمام جابر بن زيد الأزديّ – رحمه الله – من أئمة السُّنة في البصرة الموثقين لدى جميع نقاد الحديث واتفقوا على ضبطه وعدالته، ويعدُّ سند الإمام جابر عند الإباضية في الذروة العليا من مرتبة الإسناد، وأ ن عنعنته مقطوع باتصالها؛ ذل ك أنّ جابراً أخذ عن الجم الغفير من الصحابة.

فقد روى ابن حزم حديثاً عن شعبة عن قتادة عن جابر بن زيد عن ابن عباس – رضي الله عنه – فقال: هذا إسناد لا يوجد أصح منه [318].

وقد اختلف في كون جابراً ممن يكتب الحديث أم لا، قال الأستاذ الخطيب: أنه كان ممن يمتنع عن كتابة الحديث واستدل بالقولة المنقولة عن جابر عندما قيل له: "إنَّ الناس يكتبون رأيك، فقال: إنَّا لله يكتبون عني اليوم ما قد أرجع عنه غداً" [319]، ويرى يحى البكوش أنَّ هذا استدلال فيه ضعف؛ لأنّ الموضوع متعلق بكتابة رأي جابر في حد ذاته لا في كتابة السنة المطهرة، فإنّ الرأي مما يحتم ل أن يتراجع فيه المرء، لكن حديث خير خلق الله، فلا يمكن التراجع فيه [320].

ويعدُّ جابر بن زيد من جملة أصحاب مدرسة الحديث بالعراق التي تميزت بقلة الرواية، والتشكيك في رواية الحديث بصفة عامة، ولكنَّه يتميز عنهم بالخصائص الآتية[321]:

1- يتميز بعلو السند، فهو معدودٌ من كبار التابعين وأوائلهم.

([318]) انظر علي بن أحمد بن حزم (د.ت) **المحلى**، بيروت: لبنان، المكتب التجاري، د.ط، ج4، ص10،11.

([319]) محمد عجاج الخطيب (1963) **السنة قبل التدوين**، مصر، مكتبة وهبة، ط1، ص322،324.

([320]) انظر البكوش (1986) مرجع سابق، ص 40.

– انظر أحمد درويش (1991) **جابر بن زيد حياة من أجل العلم**، مرجع سابق، ص102، 103.

([321]) انظر البكوش (1986) مرجع سابق، ص 41، 42.

2- إنّه كثير التنقل للحجاز، وهنا استطاع أنْ يروي أحاديث مكة والمدينة، ويتصل بالصحابة الذين لم يعرفوا في العراق.

3- إنّه محل ثقة الجميع، سواء بالعراق أو الحجاز.

4- إنّ كتب الحديث حفظت لنا عدداً كبيراً من الصحابة الذين روى عنهم إما مباشرة، وإما عن طريق الإرسال.

ونجد أنَّ أكثر روايته عن ابن عباس - رضي الله عنهما - لكثرة ملازمته له وتعدد رحلاته إليه، وروى أيضاً عن ابن عمر، وابن الزبير، وابن مسعود، والحكم بن عمرو الغفاري، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبي أمية وعائشة رضي الله عنها، وأبي سعيد الخدري، وأنس بن مالك رضي الله عنهم [322].

وروى مرسلاً عن خلق كبير من الصحابة، وكما روى عن عدد من التابعين روايته للند للند أمثال الحسن البصريّ وعكرمة، وسعيد بن جبير وغيرهم، وقد أرسل الكثير من الأحاديث عن النبي - صلى الله عليه وسلّم - وكان للإمام جابر من الروايات، روايات مرفوعة، وروايات موقوفة، وأيضاً روايات تفسيرية لبعض آيات كتاب الله، وفيما يلي أهم أنواع الرواية التي اتبعها الإمام جابر بن زيد:

أولاً، الرواية المرفوعة: وهي ما رواها الإمام جابر بن زيد عن النبي - صلى الله عليه وسلّم - موصولة أو مرسلة، والمرسل من تابعي مثل جابر له حكم المتصل، لأنَّه لا يرسل إلا عن ثقة[323].

وله خمس روايات مرفوعة في كتب التفسير بالمأثور، منها أربع من مسند ابن عباس - رضي الله عنهما - والأخيرة رواية مرسلة في تفسير الدر المنثور للسيوطيّ وهي كالآتي:

([322]) انظر البكوش (1986) المرجع نفسه، ص 40، 43.

([323]) انظر نور الدين السالمي (1914) **شرح الجامع الصحيح**، روي: سلطنة عمان، المطابع العالمية، ط2، ج1،ص7.

1- عن جابر بن زيد يقول في جزاء العبد المؤمن وما تقرُّ به عينه، عن ابن عباس، عن النبيّ - صلى الله عليه وسلم - عن الروح الأمين، قال: "يُؤْتَي بِحَسَناتِ العَبْدِ وَسَيِّئاتِهِ، فَيَنْقُصُ بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ، فإنْ بَقِيَتْ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ، وَسَّعَ اللهُ لَهُ فِي الجَنَّة"[324]، قال: فدخلت على يزداد، فحدّث بمثل هذا، قال: قلت: فأين ذهبت الحسنة؟ قال: {أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئاتِهِمْ فِي أصحابِ الجَنَّةِ وَعْدَ الصّدْقِ الَّذِي كانُوا يُوعَدُونَ}[سورة الأحقاف (46): 16] [325].

2- عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلّم -: "العين حق، العين حق حتى يَسْتَنْزِلُ الْحَالِقَ" [326].

3- عن جابر بن زيد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلّم -: "من نسي الصلاة عليّ خطئ طريق الجنة" [327].

4- عن أبي الشعثاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله - صلى الله

([324]) أخرجه أبو نعيم في الحلية، وقال حديث غريب من حديث جابر والغطريف تفرد به عنه الحكم بن أبان العدني. انظر أبا نعيم الأصفهاني (د.ت) حلية الأولياء، مرجع سابق، ج3، ص213.

([325]) انظر ابن كثير (د.ت) **تفسير القرآن العظيم**، ج6، ص368.

([326]) انظر ابن كثير (د.ت) مرجع سابق، ج8،ص202.

- والحديث رواه أحمد بن حنبل في مسنده عن جابر بن زيد عن ابن عباس، والحاكم في المستدرك على الصحيحين بصيغة: "العين حق تستنزل الحالق "، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه بهذه الزيادة ". انظر أحمد بن حنبل (د.ت) **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، القاهرة: مصر، مؤسسة قرطبة، د.ط، رقم الحديث، 2477، ج1، ص 274، وانظر محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (1990) المستدرك على الصحيحين (تح: مصطفى عبد القادر عطا) بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، ورقم الحديث: 7498، ج4، ص 239.

([326]) انظر ابن كثير (د.ت) مرجع سابق، ج8،ص202.

- والحديث رواه ابن ماجه في السنن، وقال الألباني: حديث حسن صحيح. انظر ابن ماجة محمد بن يزيد القزوين (د.ت) **سنن ابن ماجة** (كتب حواشيه : محمود خليل) مكتبة أبي المعاطي، رقم الحديث 908، ج2، 74، وانظر محمد ناصر الدين الألباني (د.ت) صحيح وضعيف سنن ابن ماجة، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية، إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، رقم الحديث: 908، ج1، ص50.

([327]) انظر ابن كثير(د.ت) مصدر سابق ج6،ص468.

عليه وسلّم – جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة [328].

5– وأخرج أبو عبيدة في كتاب الخيل عن أبي الشعثاء جابر بن يزيد رضي الله عنه : "أنَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – قال:"ارموا واركبوا الخيل، وأن ترموا أحب إليّ. كل لهوٍ لهى به المؤمن باطل إلا ثلاث خلال: رميك عن قوسك، وتأديبك فرسك، وملاعبتك أهلك، فإنهن من الحق" [329].

ثانياً، الروايات الموقوفة: وهي ما رواه جابر بن زيد عن بعض من الصحابة الكرام فوقَّفها عليهم، وذكرنا آنفا أنَّ جابراً لقي الجم الغفير من صحابة الرسول – صلى الله عليه وسلّم – وروى عنهم أحاديث كثيرة، وهذه بعض النماذج عن روايته الموقوفة في كتب التفسير المأثورة:

([328]) انظر ابن كثير(د.ت)مصدر سابق، ج2،ص327.

([329]) جلال الدين السيوطيّ (1993) **الدر المنثور**، بيروت: لبنان، دار الفكر، ج4،ص86.

– والحديث رواه ابن أبي شيبة في المصنف عن يزيد بن هارون أنه قال: أخبرنا الدستوائيّ عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام عن عبد الله بن الأرزق عن عقبة بن عامر الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إنّ الله ليدخل بالسهم الواحد الثلاثة الجنة : صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، والممد به، قال: ارموا واركبوا، وإن ترموا أحب إلى من أن تركبوا، وكل ما يلهو به المرء المسلم باطل إلا رميه بقوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، فإنهن من الحق). انظر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (1988) **مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار** (علق عليه الأستاذ سعيد اللحام) باب ما ينبغي للرجل أن يتعلمه ويعلمه ولده بيروت: لبنان، دار الفكر، د.ط، ج6، ص 215.

وبهذا الإسناد رواه البيهقي في السنن عن عقبة بن عامر الجهنيّ رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ارموا واركبوا وأن ترموا أحب إليّ من أنْ تركبوا وكل شئ يلهو به الرجل باطل إلا رميَ الرجل بقوسه، أو تأديبه فرسه، أو ملاعبته امرأته، فإنهن من الحق، وكذلك رواه عن أبي عبد الله الحافظ أنه قال: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب أنبأ العباس بن الوليد بن مزيد البيروتى ثنا محمد بن شعيب ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ثنا أبو سلام الاسود عن خالد بن زيد قال كنت رجلا راميا ارامى عقبة بن عامر فمربى ذات يوم فقال يا خالد اخرج بنا نرمى فأبطأت عليه فقال يا خالد تعال احدثك ما حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو اقول لك كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عزوجل يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه الذى احتسب في صنعته الخير ومنبله والرامي ارموا واركبوا وأن ترموا احب إلى من ان تركبوا وليس من اللهو الا ثلاثة تأديب الرجل فرسه وملاعبته زوجته ورميه بنبله عن قوسه ومن علم الرمى ثم تركه فهى نعمة كفرها. انظر أبابكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي(1994) **سنن البيهقي الكبرى**، مرجع سابق، كتاب السبق والرمي، باب التحرض على الرمي، رقم الحديث: 19517، ج10، ص 13، 14.

1- أخرج بن جرير الطبريّ عن المثنى أنه قال، حدثنا حجاج بن المنهال قال، حدثنا حماد بن سلمة قال، حدثنا عمرو بن دينار، عن جابر بن زيد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال في قوله تعالى: {فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ}[سورة البقرة (2): 178] هو: العمد يرضي أهله بالدية {فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ} أمر به الطالب {وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ} من المطلوب [330].

2- وأخرج ابن جرير عن المثنى أيضاً قوله: حدثنا الحجاج بن المنهال قال، حدثنا حماد بن سلمة قال، أخبرنا عمرو بن دينار، عن جابر بن زيد عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال في قوله تعالى: { ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ}[سورة البقرة (2): 178] مما كان على بني إسرائيل يعني من تحريم الدية عليهم [331].

3- أخرج السيوطيّ عن جابر بن زيد عن بن عباس - رضي الله عنهما - أنَّه قال: الإفطار في السفر عزمه[332].

4- وأخرج ابن جرير والبيهقي من طريق جابر بن زيد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: الصلاة الوسطى صلاة الفجر [333].

5- أخرج السيوطي عن جابر بن زيد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى: {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ}[سورة الكهف (18):23،24] تقول: إنْ شاء الله [334].

([330]) انظر الطبريّ (2000) مرجع سابق، ج3، ص 367.

([331])انظر الطبري (2000) المرجع نفسه، ج3، ص374.

([332])انظر السيوطيّ (1993) مرجع سابق ج1، ص719.

([333])انظر الطبريّ (2000) المرجع نفسه، ج2، ص151.

- وانظر أبابكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي(1994) **سنن البيهقي الكبرى**، مرجع سابق، جامع أبواب المواقيت، باب من قال هي الصبح، رقم الحديث: 2004، ج1، ص 461.

([334]) انظر للسيوطيّ(1993) المرجع نفسه، ج4، ص473.

6- عن أبي الشعثاء أنَّه سأل علقمة عن الرجل يولي من امرأته فيكون بها نفاس أو شيء فلا يستطيع أن يطأها؟ قال:"إذا فاء بقلبه ولسانه ورضي بذلك فهو في ء" [335].

7- أخرج ابن أبي حاتم عن جابر بن زيد عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان يقول في قوله تعالى: {وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ}[سورة النساء(14):19] الفاحشة المبينة: النشوز وسوء الخلق، وكان يقول: إذا نشزت وساء خلقها أخرجها [336].

ثالثاً: الروايات التفسيرية عنه: وهي أقواله التي رويت عنه، أ و نسبت إليه في تفسير العديد من الآيات.

أما أهم الطرق التي اتبعها التابعي الجليل فهي ثلاث طرق كالآتي:

الطريقة الأولى: وهي أنْ ينص الناقل الرواية على أنَّها من أقوال الإمام جابر، ثم ينقل قول جابر بلفظه، وهذا الأكثر كما في قوله سبحانه وتعالى: { وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ}[سورة البقرة (2)238]قال جابر: مطيعين. أو قوله في قول سبحانه وتعالى:{الْجَوَارِ الْكُنَّسِ }[سورة التكوير(81):16] هي البقر إذا كنست كوانسها[337].

والطريقة الثانية: هي أن ينسب الناقل الرواية لشخص غير جابر، ثم يقول: وكذلك قال جابر، أو بنحوه روي عن جابر.

([335]) انظر السيوطيّ(1993) المرجع نفسه، ج1، ص650.

([336]) انظر عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازيّ (1997) **تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين** (تح: أسعد محمد الطيب) مكة المكرمة: المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، ج3، ص904.

([337]) انظر الطبري (2000) مرجع سابق، ج2،ص568، ج30، ص76.

مثل قوله تعالى:{ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ }[سورة البقرة (2): 178]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: العفو أن يقبل الدية في العمد، وورو ي عن جابر بن زيد، وأبي العالية، ومجاه د، وعطاء، وسعيد بن جبير ومقاتل والحسن نحو ذلك [338].

والطريقة الثالثة: هي أنْ يروي الناقل عن جابر بالمعنى، مثال ذلك: ما ذكر ه ابن كثير عن جابر على قوله تعالى: { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ}[سورة البقرة (2): 187] من أنّ جابراً كان من السلف الذين يتسامحون في السحور عند مقاربة الفجر [339]، والرواية أخرجها ابن أبي شيبة من قول جابر بسنده إليه حيث يقول: حدثنا ابن نمير عن أبي يعفور – وقدان العبدي – قال: سمعت أبا الشعثاء يقول: كانوا يتسحرون حين يخرجون إلى الصلاة [340].

وبهذا يتضح لنا منهج الإمام جابر بن زيد رحمه الله في الرواية، فهو من المحدثين الموثقين عند علماء هذا الفن، حيث روى عن الجم الغفير من الصحابة الكثير من الأحاديث، وأهمهم ابن عباس – رضي الله عنهما – لكثرة ملازمته له والترحال إليه، كما روى عنه الكثير من التابعين وتابعيهم، فمسانده كلها صحيحة، وسلسلتها ذهبية لعدالته ومتانة حفظه، حتى بالنسبة للمرسل منها إذ مرسل العدل مقبول مطلقاً، كما يغلب على الأحاديث التي رواها طابع واحد هو الاهتمام بأحاديث الأحكام والمسائل الفقهية، فهو ممن غلب عليه الطابع الفقهي، ولو قمنا بقياس نسبة أقواله في النواحي الأخرى من توضيح لمعنى لغوي أو شرعي أو بيان لشيء من قضايا علوم القرآن إلى نسبة أقواله الفقهية، وروايته للأحاديث المتعلقة بالأحكام المتواجدة في كتب التفسير

([338]) انظر ابن أبي حاتم (1997) مصدر سابق ج1،ص294.

([339]) انظر ابن كثير (د.ت) مصدر سابق ج1،ص514.

([340]) انظر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (1409) المصنف (تح: كمال يوسف الحوت) الرياض: المملكة السعودية، مكتبة الرشد، ط1، ج2، ص276.

بالمأثور لما ساوت شيئاً، وعليه يمكننا القول بأنَّه قد أصّل الطريق للتفسير الفقهي، فهو المحدِّث والفقيه المفسر.

المبحث الثاني: منهج الإمام الحسن البصري في الرواية.

يعدُّ الحسن البصري إمام جليل القدر في الفقه والتفسير، وقد عدّه البعض من أكثر التابعين مفاريد في الفقه والتفسير، وأكثر من تعزى إليه الأقوال الشاذة في التفسير، أما الفقه فقد نص على أنّه أكثر التابعين مفاريد في هذا الباب بعض الأئمة كابن رجب، وأما كونه من أكثر التابعين مفاريد في التفسير، فهذا للمعتزلة أثر فيه فهم ينسبون له ويهتمون بأقواله ما لا يهتمون بقول غيره، فوقع في أقواله المنسوبة غرائب يجب التشديد في أسانيدها، وقد يكون الحمل في كثير منها على غيره، ونحن نتكلم على ما هو منسوب له من غير تحرير، يقول محمد بن عبد العزيز الخضيري في رسالته: الإجماع في التفسير: " رأيت أكثر من تعزى إليه من السلف الأقوال الشاذة المخالفة للإجماع هو الحسن البصريّ – رحمه الله – ولعل من أهم الأسباب في ذلك – والله أعلم – كون المعتزلة يعدونه – زوراً وبهتاناً من أئمتهم، ولذا فإنهم يعزون إليه بعض تلك الروايات المنكرة ترويجاً لها بينما لا نرى الأئمة المعتبرين في نقـــل الآثار يروونها عنه، ولو مع بيان ضعفها، وقد صرح بعض المفسرين كالآلوسي بأنّ المعتزلة كانوا يكذبون عليه ويلفقون عليه الروايات المختلقة وكذلك كان إمامهم عمرو بن عبيد المعتزلي القدريّ الذي يروي تفسيراً عن الحسن ينقلون عنه في كتبهم، فقد صرح بعض علماء الجرح والتعديل بأنه كان يكذب على الحسن، ومن تتبع ما عند كبار مفسريهم – كالنقاش والرمانيّ والجبائيّ والزمخشريّ – من الغرائب والمنكرات لم يستبعد تتابعهم على نقلها واستساغهم لروايتها والاعتماد عليها والتسليم بها " ثم ذكر أمثلة عدة على هذا الكلام [341].

([341]) محمد بن عبد العزيز الخضيريّ (د.ت) **الإجماع في التفسير** ، ص: 121: 124، نقلاً عن موقع ملتقى أهل التفسير، ضمن مناقشات للشيخ الطريفي في قوله عن الحسن البصري أنه أكثر التابعين شذوذا في التفسير، بتاريخ 2007/12/13.

فقد تشبَّث المعتزلة بالحسن ونسبوه إليهم، وأكثروا من النقل عنه، ولقِلَّة عناية المعتزلة بالأسانيد والرواية – لأنهم لا يعتدُّون بها مجردةً، وإنما بالعقل – فلذلك لم يعتنوا بها، و لم ينقوا الأسانيد عن الحسن، وإنما تشَبَّثوا بالحكايات التي تُوافق أصولهم، فيُنسب للحسن في كتبهم وخاصة في التفسير ما لا ينسب إلى غيره من الغرائب والمفردات ؛ ولذلك يجب أن يحذر الإنسان مما يُحكى عن الحسن البصري من شذوذات في التفسير مما لا يوافق غيره، ولا بد من النظر إلى الأسانيد، ويشدِّد في مرويات الحسن ما لا يشدَّد في غيرها، سيَّما وهو يرى الرواية بالمعنى ويكثر منها ، وراوية تفسيره عن قتادة، فقد روى عنه نحو ثلث تفسيره، ورواه عنه مَعمَر بن راشد، وبقية تفسيره متفرِّق في الرواة.

ويمكن إجمال طرق الرواية عند الحسن كما يأتي:

– إن الحسن البصري ممن اشتُهر عنهم الرواية بالمعنى وإجازة ذلك، فقد روى عنه الدراميّ أنه: "إذا حدث قدم وأخر... يحدث بالحديثِ الأصلُ واحدٌ والكلامُ مختلفٌ" [342]، بل وكان يستدل عليه، إذ كان يقول: "يحكي الله عن القرون السالفة بغير لغاتها، أفكذب هو؟!" [343].

هذا مع تفضيله واستحبابه رواية الحديث باللفظ، دون تغيير شئ فيه [344].

والتحديث بالمعنى كان شائعاً بين السلف قبل فساد اللغة وقبل عصر التدوين، وقد جوَّز ذلك للعلم باللغة جمهورُ الناس سلفاً وخلفاً، وعليه العملُ، كما هو مشاهدٌ

([342]) انظر عبد الله بن عبد الرحمن الدارميّ (1407هـ) **سنن الدارمي** (تح: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي) بيروت: لبنان، دار الكتاب العربي، ط1، رقم الأثر: 316، 317، ج1، ص105.

([343]) انظر الحسن بن عبد الرامهرمزيّ (1404هـ) **المحدث الفاصل بين الراوي والواعي** (تح: محمد عجاج الخطيب) بيروت: لبنان، دار الفكر، رقم 682.

([344]) انظر الخطيب (1403هـ) **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**،مرجع سابق، ج1، ص16، 17.

في الأحاديث الصحاح، وغيرها، فإنّ الواقعة واحدةً وتجيءُ بألفاظ متعددةٍ من وجوه مختلفة متباينة، نظراً لتعويلهم على المعنى أكثر من اللفظ [345].

وقد كان عذر الحسن في ذلك هو تعذر حفظ الألفاظ كلها، وذلك عندما سأله غيلان بن جرير، قال: " قلت للحسن: الرجلُ يسمعُ الحديثَ فيحدثُ به لا يأبو، فيكون فيه – يعني الزيادة والنقصان – قال الحسن: ومن يطيق ذاك" [346] يعني: ومن يطيق حفظ الألفاظ.

– أنَّه كان يرى صحة القراءة على الشيخ: العرض، ويعدّها بمنزلة السماع من لفظ الشيخ، حتى أنّه ليجيز أنْ يقال في التحديث بالعرض (حدثنا)، و(أخبرنا)، ونحوها، فقد أخرج البخاريّ في صحيحه بإسناده المتصل إلى الحسن البصريّ، أنه قال:" لابأس بالقراءة على العالم" [347].

- يرى الحسن البصريّ صحة الرواية بالإجازة [348] أما ما روي عن الحسن كان يجيز في المناولة المقترنة بالإجازة أنْ يقول في التحديث بها (حدثني) ونحوها، فمما لم يثبت إسناده إلى الحسن البصريّ، حيث أخرج هذا الخطيب في (الكفاية) [349]، وفي إسناده بشر بن عبيد أبو على الدارسيّ، وهو شديد الضعف [350].

([345]) ابن الصلاح (د.ت) علوم الحديث، مرجع سابق، ص158.

([346]) أبو الحجاج يوسف المزيّ (1985) **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** (تح: بشار عواد معروف) بيروت:لبنان، مؤسسة الرسالة،ط2، ج1، ص 259.

([347]) انظر البخاريّ (1422هـ) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم، رقم الحديث: 63، ج1، ص 23.

([348]) انظر الخطيب البغداديّ (1405هـ) **الكفاية في علم الرواية** (تح: أحمد عمر هاشم) بيروت: لبنان، دار الكتاب العربي، ط1، ص355.

([349]) انظر الخطيب البغداديّ (1405هـ) المرجع نفسه، ص 369.

([350]) انظر ابن حجر العسقلانيّ (1390هـ) **لسان ميزان**، بيروت: لبنان، مؤسسة الأعلمي، نسخة مصورة عن طبعة 1329، الهند مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، ج2، ص26.

- يرى الحسن البصريّ صحة الرواية بالوجادة عن الصحف، واستخدم ذلك في رواياته[351]، فقد روى الحسن صحيفة موثوقة لأحد التابعين الثقات، كتبها عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وروى الحسن أيضاً صحيفة كتبها سمرة بن جندب رضي الله عنه لأبنائه[352].

ومع ما كان عليه الحسن البصريّ من جلالة القدر، وسعة العلم، وعمق التفكير، وقوة الديانة والتقوى، إلا أنّه قد نالته ألْسُن علماء الجرح والتعديل وأقلامهم الذين وضعوا قواعد متأخرة، وجعلوا يزنون المتقدمين بها.

فقد ضعّف بعضهم رواية الحسن من الكتب جاعلاً ذلك دليلاً على ضعف مراسيله، فقد ذكر الشريف العونيّ أنَّه من خلال تتبعه لرواية الحسن لم يجد روية له لصحيفة غير موثوقة، أو أنَّه حدَّث عن نسخة غير صحيحة، جاعلاً لخبر مساور الوراق مع الحسن حين سأله عمن يحدِّث فقال: " قلت للحسن: عمن تحدث هذه الأحاديث؟ قال: عن كتاب عندنا، سمعته من رجل" [353] دليلاً على توثيقه وضبط في روايته!! إذ إنَّ روايته عن الكتب المسموعة، دليل على أنّه كان حريصاً على معارضة محفوظة على مكتوبه، وعدم الاتكال على الحفظ دون الكتاب مورداً قولة للحسن بالخصوص وهي :" إن لنا كتباً نتعاهدها" [354]، فتعاهد الكتب، لتعهُّدِ الحفظ، وهو شأن أئمة الرواية في الضبط وصحة الأداء [355].

([351]) انظر الشريف حاتم بن عارف العونيّ (1997) **المرسل الخفي وعلاقته بالتدليس**، دراسة نظرية وتطبيقية على مرويات الحسن البصريّ، الرياض: المملكة العربية السعودية، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط1، ج1، ص258، 373،372.

([352]) انظر العونيّ (1997) المرجع نفسه، ج1، ص372.

([353]) ابن جرير الطبريّ (د.ت) **المنتخب من ذيل المذيل** (تح: محمد أو الفضل إبراهيم) القاهرة: مصر، دار المعارف، مطبوع ضمن ذيول تاريخ الطبريّ، ط2، ج11، ص637.

([354]) البسويّ (1410هـ) **المعرفة والتاريخ** (تح: أكرم ضياء العمري) المدينة المنورة: السعودية، مكتبة الدار، ط1، ج2، ص27.

([355]) انظر العونيّ (1997) **المرسل الخفي**، مرجع سابق، ج1، ص373.

ويعدُّ الحسن البصري من أكثر التابعين إرسالاً للحديث إلى النبي – صلى الله عليه وسلّم – دون ذكر الواسطة، والمعروف أنه توجد مفاضلة بين مراسيل المحدثين؛ وذلك كأن يقولو ا إن مرسل فلان صحيح؛ أ ي مرسله أصح من مرسل فلان يعني بذلك أنَّ مرسله أقل ضعفاً من مرسل غيره.

والحسن البصريّ متساهل بالنقل، والإرسال، كما ذكر عن ابن سيرين وما ورد عن عبد الله بن عون والشافعيّ والترمذيّ فمراسيله عندهم ضعيفة، و لم تقبل منهم، وكانت حجتهم في ذلك أنَّ الحسن كان يصدّق من حدَّثه، فقد كان يأخذ الحديث عن كل أحد ولا يبحث عن حاله، وقد كره منه هؤلاء ذلك [356]، وربما كان ذلك حُسْنُ ظن من الحسن البصريّ بهؤلاء الأشخاص الذين حدث عنهم، وكان من الحريّ أنّ يتأكد ممن يأخذ الأحاديث وعمن يرويها، وهذا ما أدّى إلى ضعف مراسيله؛ لأنّه حدّث عن الثقات وغير الثقات، ومما لا ش ك فيه أنّ الحسن البصريّ ثقة في نفسه لا يستطيع أحد أنْ يطعن في دينيه وصدقه وثقته، ولا أدلّ على ذلك من أنَّ الإمامين البخاريّ ومسلم بن الحجاج قد رويا له في صحيحيهما جملة من الأحاديث المروية عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهما لا يرويا ن إلا عمن ثبتت ثقته عند علماء الحديث، واتفق على عدالته .

ويرى بعض العلماء أن روايته ونقله لبعض الأحاديث عمن لم يلتق بهم، و لم يأخذ عنهم، أو عن رجل مضعف عند علماء الحديث؛ هو الذي جعلهم يصفونه بالإرسال دون تثبتٍ، أو بالتدليس أو بالرواية عن الضعفاء، فقد قال الذهبيّ فيه: " والحسن مع جلالته فهو مدلس... معروف بالتدليس، ويدلس عن الضعفاء" [357]، ونقلَ عن ابن حِبَّان أنّه قال فيه: "كان يُدلس" [358]، ومع سعة علم هذا الإمام

([356]) انظر الخطيب (1405هـ) **الكفاية**، مرجع سابق، ص411.

([357]) الذهبيّ (1993) سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج4، ص572، 588.

([358]) ابن حجر العسقلانيّ (1984) تهذيب التهذيب، مرجع سابق، ج2، ص236.

الجليل إلا أنّه من البشر، وليس معصوماً من الخطأ أو الزلل، له هفوات أخذت عنه في نقله لأحاديث منقطعة، فلم يكن يهتم بإسناد الحديث عندما يحدِّث به في مجالس وعظه؛ لأنّه لم يكن مهتماً فيه بذلك، ومن هنا كان لا يبالي إنْ أسقط السَّنَدَ كلَّه، أو جزءًا منه، هذا إلى جانب حسن ظنه بالذين يحدِّثُ عنهم، فقد قال محمد بن سيرين: "كان أربعة يصدقون من حدثهم، أبو العالية، والحسن، وحميد بن هلال، ورجل آخر سماه"[359].

وكان الإمام الشافعيّ يضعف مراسيل الحسن [360]، وقال الإمام أحمد: "مرسلات سعيد ابن المسيب صحاح، لا نرى أصح من مرسلاته، وأما الحسن وعطاء فليس هي بذلك، هي أضعف المرسلات، لأنهما يأخذان عن كل أحد"[361].

وقال ابن رجب في شرح العلل:"أما مراسيل الحسن: ففي كلام الترمذيّ ما يقتضي تضعيفها، فإنه ذكر أن الحسن ضعّف معبداً ثم روى عنه، فتضعف مراسيله حينئذ" [362]، وضعف الدارقطنيّ مراسيل الحسن [363]، و يقول البيهقيّ: بأن مراسيل الحسن غير قوية[364].

وحجتهم في ذلك كانت كلها تعود إلى السبب نفسه وهو في أنه يروي عن الثقاة وغيرهم، وعن أشخاص مجاهيل؛ فقد ذكر ابن سعد في طبقاته الكبرى: "أخبرنا عفان بن مسلم قال:حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد، قال: حدثت الحسن

([359]) أحمد بن حنبل (1988) **العلل ومعرفة الرجال** (تح: وصي الله بن محمد عباس) بيروت: لبنان، المكتب الإسلامي، الرياض: السعودية، دار الخاني للنشر والتوزيع، رقم 989، ج1، 442.

([360]) انظر محمد بن إدريس الشافعيّ (1393هـ) الأم، بيروت: لبنان دار المعرفة، ج 3، ص188، 247.

([361]) اليعقوبيّ (1410هـ) المعرفة والتاريخ، مرجع سابق، ج3،ص240،239.

([362]) ابن رجب الحنبليّ (1407هـ) **شرح علل الترمذي** (تح: همام عبد الرحيم سعيد) الأردن، مكتبة المنار، ط1، ص536.

([363]) ابن حجر العسقلانيّ (1984) تهذيب التهذيب، مرجع سابق، ج2، ص270.

([364]) البيهقيّ (د.ت) معرفة السنن والآثار، رقم6203، ج 61، ص81.

بحديث، فإذا هو يحدث به، فقلت: يا أبا سعيد، من حدّثكم ؟ قال: لا أدري. فقلت: أنا حدثتكم به" [365].

وقد احتجوا بحجج أخرى من أهمها ما أورده الفسويّ عن سعيد بن أسد أنه قال: "حدثنا ضمرة عن ابن عون قال: كنت عند الحسن البصريّ جالساً، إذ جاءه رجل، فقال: يا أبا سعيد، عمن تحدِّث؟ قال: عنك، وعن هذا، وعن هذا" [366].

وقال علي بن زيد: "كان ثلاثة من أصحابنا إذا سمعوا الحديث رفعوه، الحسن، وأبو العالية، وآخر" [367]، يعني أنهم كانوا يرفعونه إلى النبي، صلى الله عليه وسلّم.

وفي الوقت الذي نجد كل هذا التوهين والتضعيف لمراسيل الحسن، نجد أقوالاً أخرى تقابلها في تقوية هذه المراسيل، وقبولها بحججها.

فقد أخرج الطحاويّ بإسناد صحيح إلى يونس بن عبيد، أنّ ه قال: "رحم الله الحسن! ما قال شيئاً، إلا وجدتُ له أصلاً" [368]، وأورد الترمذيّ في (العلل الصغير) بإسناده عن يحى بن سعيد القطان، أنه قال: "ما قال الحسن في حديثه قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلا وجدنا له أصلاً، إلا حديثاً أو حديثين" [369].

وذكر ابن رجب في تعليقه على كلام يحي القطان الذي أورده الترمذيّ أنه: "يدل على أنّ مراسيله جيدة" [370]،وقال يحى بن معين في كتابه التاريخ: "مرسلات الحسن ليس بها بأس"[371].

([365]) ابن سعد (1968) الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ج7، ص165.

([366]) البسويّ (1410هـ) المعرفة والتاريخ، مرجع سابق، ج2، ص43.

([367]) أحمد بن حنبل (1988) العلل ومعرفة الرجال، مرجع سابق، رقم: ، ج1، 319554.

– البسويّ (1410هـ)المعرفة والتاريخ، مرجع سابق،، ج2، ص44،43.

([368]) الطحاويّ (1415هـ) بيان مشكل أحاديث الرسول ﷺ (تح: شعيب الأرناؤوط) بيروت: لبنان، مؤسسة الرسالة، ط1، ج12، ص104.

([369]) أبو عيسى الترمذيّ (د.ت) العلل الصغير (تح: إبراهيم عطوة عوض) بيروت لبنان، دار إحياء التراث العربي، مطبوع بذيل الجامع له، ج5،ص 754.

([370]) ابن رجب الحنبليّ (1407هـ) شرح علل الترمذي، مرجع سابق، 536.

كما قوّى الإمام أحمد مراسيل الحسن، وضعفها في موضع آخر، وتقويته لها مقدم على تضعيفه لها، كما ذهب ابن مفلح الذي علل ذلك، بأنّ تضعيف الإمام أحمد لمراسيل الحسن كان يخصُّ مراسيل معدودة وبعينها، لا أنّه تضعيف عام منه لمراسيله [372].

وقال علي المدينيّ: "مرسلات الحسن إذا رواها عنه الثقاة :صحاح، ما أقل ما يسقط منها"[373]، ويعدّ هذا القول من أقوى الحجج التي بها تقوى مراسيله.

ومما يجب أنَّ ننتبه إليه هو أنَّ كلام الأئمة حول مراسيل الحسن جُله عن مراسيله إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – من دون ذكر واسطة بينه وبين النبي – صلى الله عليه وسلم – كما هو صريح كلام القطان وعلي بن المدينيّ، وأحمد بن حنبل، وغيرهم، وقد عد الشريف العونيّ مراسيل الحسن إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – والصحابة – رضي الله عنهم – من خلال ما ترجح عنده عدها من أجود المراسيل فقال في خلاصة أحد فصول دراسته القيمة: "وترجح بعد هذا المبحث الطويل: أنّ مراسله إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – بلا واسطة من أجود المراسيل، فمن (باب أولى) أنْ تكون مراسيل الحسن عن الصحابة الذين لم يسمع منهم، أدركهم أو لم يدركهم، أصحّ وأقوى، بعد أن ترجح صحة مراسله – في المراسيل – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وذلك لأن احتمال وجود أكثر من واسطة بين الحسن ومن روى عنهم يَضْعُفُ في مراسيله عن الصحابة الذين لم يسمع منهم، لقرب عهده بالنبي

([371]) يحى بن معين (د.ت) **التاريخ**، رواية الدوري (تح: عبد الله أحمد حسن) بيروت لبنان، دار القلم، رقم 4248، ج2، ص201.

([372]) أبو عبد الله محمد بن مفلح (1381هـ) **الفروع**، القاهرة: مصر، دار مصر للطباعة، ط2، ج3، ص227.

([373]) المزيّ (1985) تهذيب الكمال، مرجع سابق، ج6، ص124.

– صلى الله عليه وسلم – بل ربما عاصرهم السنوات الطويلة، لكنه لم يلقهم أو يسمع منهم!!"[374].

مبيناً أنّ سبب ترجيحه لمراسيل الحسن عن الصحابة في القوة على مراسيل النبي – صلى الله عليه وسلم – يرجع إلى احتمال ضعف الوسائط المجهولة في المراسيل، فكلما قلّ احتمال وجود أكثر من واسطة، قلّ أيضاً احتمال وجود أكثر من ضعيف، أو قَوي احتمال عدم وجود ضعيف أصلاً مؤكداً كلامه بما قرره البيهقيّ[375].

وخلاصة القول إن قوة إيمانه، وحسن سيرته، وشهادة الجم الغفير من العلماء بعدالته ونزاهته، تبعد عنه تهمة التدليس، وإنْ وجد في أحاديثه شيء من التضعيف والتهوين، فهو بعيد كل البعد عن أنْ يدلس التدليس الذي يضعف من ثقته ومكانته، برغم ما شاب تلك الحقبة من التساهل في رواية الحديث؛ فربما روى شخص حديثاً عن شخص يعدُّه ثقة، وهو غير موثوق عند غيره، ومن هنا جاء التعارض الذي نلتمسه من علماء الجرح والتعديل في قبول أحاديث المحدثين أوردها كما سبق أنْ أشرنا في بداية هذا الفصل، وربما طبيعة العصر الذي عاش فيه الحسن هو السبب الذي ألجأ الحسن إلى إخفاء أسماء بعض الرواة؛ فقد عاش في زمن الدولة الأموية، وتحت حكم والٍ مثل الحجاج بن يوسف الذي تسلط فيها على رقاب العباد والبلاد.

وبهذا يمكن القول إن الإنصاف في مراسيل الحسن يرتقي بها إلى أنْ تكون مراسيل حساناً قوية، لا تبلغ درجة أصح المراسيل، كمراسيل سعيد ابن المسيب، ومحمد بن سرين، كما لا تسقط إلى أوهى المراسيل كمراسيل ابن جريج.

([374]) العونيّ (1997) المرسل الخفي، مرجع سابق، ج1، ص453.

([375]) انظر العونيّ (1997) المرجع نفسه، ج1، ص453.

المبحث الثالث: مقارنة بين منهج الإمامين في الرواية.

يتضح لنا من خلال العرض السابق لمرويات الإمامين في التفسير أنّ هناك فرقاً واضحاً في المسائل التي أوردها للإمامين الجليلين مما رواه الطبريّ، ونقله القرطبيّ عنهما في علوم القرآن، فالإمام جابر بن زيد ينصبُّ اهتمامه في علوم القرآن على التفسير المعتمد على اللغة، حيث كانت اللغة هي الأداة الرئيسة في تفسيره، و لم ينقل له في القراءات إلا النذر اليسر، أما الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وغيرها من المباحث المتعلقة بعلوم القرآن فلم يصل إلينا من طريقهم شيئاً ذوبال.

أما الإمام الحسن البصريّ فقد كان له في علوم القرآن النصيب الأوفر من المسائل خاصة فيما يتعلق بالتفسير والقراءات، فما أكثر ما نجده يأتي بقراءة مخالفة للقراءات المشهورة، وينفرد أحياناً ببعضها، وربما لذلك كان معدوداً ضمن الأربعة المتممين للأربع عشرة قراءة المشهورة، وتفرد بقراءة خاصة به، وقد أفضى التوسع بالحسن البصريّ في بيان مشكل الآية إلى مخالفة الظاهر من النص القرآني أحياناً، وصرفه عن المعنى القريب إلى معنى بعيد غير ظاهر، ولعل من أسباب ذلك أنَّ الحسن إمام غلب على حسه وفهمه الجانب الوعظي؛ مما جعله يصرف بعض معاني الآيات عن الظاهر وربما مخالفته في بعض الآيات.

والملاحظ في مرويات الإمامين في الجانب العقدي تركيزهم على الأسس الكبرى للعقيدة مثل الوحدانية والبعث والجزاء وما تنطوي عليه من المعاني كما هو الأمر عند جابر.

ونجد بعض التفصيل و التوغل في الجزئيات عند الحسن، وذلك بالاعتماد على ظاهر النص، إلى جانب المروي من الآحاد كما في مسألة الرؤية وخاصة رؤية النبي – صلى الله عليه وسلم – لربه عندما عرج به.

وآراء جابر وأقواله في هذه القضايا لا نجد لها ذكراً عند الطبريّ والقرطبيّ ولا عند غيره ممن ينكرها ويخالفها، وبالرجوع إلى المصادر الإباضية التي اعتنت بنقل أقواله يتبين لنا أنه يختلف مع الحسن في العديد من القضايا كرؤية الله تعالى، والشفاعة لأهل الكبائر، ويتفق معه في البقية.

كما يتبين لنا مما سبق أنّ مرويات الإمامين في الجانب الفقهي يغلب عليها عند الإمام الحسن جانب الأثر والإرسال إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وأحيانا يجنح إلى الرأي، وهو في الغالب ينفرد بآراء اجتهادية لم يسبقه إليها أحد من الفقهاء، وهذا شأنه وديدنه في سائر مروياته التفسيرية، بينما يختلف الأمر في ذلك عند صاحبه جابر، الذي كان يتحرّ في مروياته أحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم — وأقوال الصحابة، وخاصة ابن عباس رضي الله عنهما ، الذي كان موافقاً له في الغالب من الأقوال، واللجوء إلى القياس إنْ لم يجد للحكم أصلاً من كتاب، أو سنة، أو قولٍ لأحد مشائخه ومن أخذ عنهم من الصحابة، مع توظيف اللغة، والقراءات، وتتبع مقاصد الشارع في استنباط الحكم، وإنْ وجدنا أحيانا بعض الاختلاف لرأي جابر، أو تعدد الروايات في المسألة الواحدة، فذلك إما لمزجه بين مدرستي البصرة والحجاز، فهما في غالب الأمر ينتهيان إلى الاتجاه نفسه ويصبان في البوتقة نفسها؛ أو لأنه اجتهد في تلك المسألة، ثم ظهر له ما هو أصوب مما رأى فيها، أو أنه وجد ما هو أصح في الاستدلال، وأقوى في الحجة والبرهان، وكذلك الأمر بالنسبة للحسن، فالفتوى عندهم تتغير بتغير الزمان والمكان، أو بظهور ما هو أقوى في الاحتجاج والاستدلال.

وهذا لا يعني أنّ الإمامين على طرفي نقيض في منهجهما وتفكيرهما الفقهي، فكثيراً ما نجد قولاً أو رأياً لجابر يسانده ويؤكده رأي الحسن، وكذلك كثيراً ما يوافق جابر رأي الحسن في العديد من المسائل والقضايا، كأنْ ينقل القرطبيّ عن جابر والحسن قولهم في مسألة ما أنهما يقولان فيها كذا وكذا، أو أنْ يروي الطبريّ قول جابر في حكم مسألة ما ثم ينسبه إلى الحسن وغيره بقوله: وهو قول الحسن وكذا

وقال الحسن، ويقول أحدهما: روي عن جابر والحسن، أو أنْ يخبر جابر بأنّ رأي الحسن في مسألة ما كذا وكذا فيوافقه فيما رأى، وقد رأينا هذا في أكثر من مسألة، لذلك آثرت عدم إعادتها إذا ذكرت عند أحدهما، خوفاً من التكرار، وهذا الاتفاق ناتج عن كونهما خريجا مدرسة واحدة.

الخـــــاتمة

يعدُّ جابر بن زيد والحسن البصريّ من التابعين البارزين، وإسهاماتهما للأمة يمكن إدراكها في إطار الدور الذي لعبته طبقة التابعين الذين تلقوا العلم عن الصحابة مباشرة، فقد نشأ الإما مان في بيئة امتازت وانطبعت بالحرية في الاجتهاد بين علماء وفقهاء كانت لهم مكانتهم في تأسيس الثقافة الإسلامية ، فهما من أبرز علماء البصرة وأشهر زهادها، قضو حياتهما يصدران الفتاوى، ويدرِّسان أحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – وينقلان علمه الواسع إلى طلبته؛ مما أهَّلهما ليكونا من مؤسسي مدرسة البصرة، ويكون جابر مسئولاً فعليّاً عن تأسيس مدرسة للفقه الإباضي، فقد كان قادراً على أنْ ينشأ مذهباً مستقلاً، وأنْ يجذب إليه عدداً من المتعلمين، الذين طوروا آراءه واستدلالاته.

كما احتل الإمامان مكانة مرموقة بين علماء الإسلام العارفين بالقرآن الكريم، ويدل على ذلك اعتماد مجموعة من المفسرين على أقوالهما واحتجاجهم بها ، ومن خلال ما سبق يتضح لنا جلياً موقف كلاً منهما من التفسير، وأنهما ساهما فيه إسهاماً كبيراً، فكان موقفهما موقفاً راسخ القدم، وكان لهما باع طويل في ذلك، ويظهر هذا جلياً بما روي عنهما في الكثير من آيات التفسير، واعتمد عليهما كعالمين موثوق في روايتهما.

أهم نتائج البحث.

وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى نتائج من أهمها ما يلي:

1 – يتضح لنا من خلال الوقوف على أهم الملامح الشخصية لدى الإمامين، وأثرهما في المجتمع الإسلامي، أنهما كانا إمامين مجتهدين من خيرة السلف الصالح الذين

يقتدي بهم في العلم والعمل، ومن المؤسسين الأوائل لمدرسة البصرة في الفقه والتفسير.

2 -تبين من خلال مروياتهما في التفسير أنهما من أهم أعلام التفسير والآثار في مدرسة الحبر الكبير ابن عباس رضي الله عنهما ومدرسة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

3 -كما يتضح لنا من خلال تتبع نتاجهم العلمي، ومكانتهما العلمية بين أهل العلم أنهما لم يشتهرا في التفسير فقط، ب ل تجاوزاه إلى التضلع في الحديث، والفقه والفتيا، وكان لهما من الزهد والوعظ الحظ الأوفر خاصة الإمام الحسن البصريّ، فقد كان أمام الزُهاد في عصره.

4 -يتفق الإمامان في كونهما ينهجان منهج مدرسة البصرة في إعمال الرأي في تفسيرهم للآيات، مع الاعتماد على المأثور، فهما يمزجان بين المدرستين، وهذا يظهر بوضوح أكثر عند جابر الذي جمع بين مدرستي الحجاز والبصرة، نظراً لتأثره بشيخه ابن عباس رضي الله عنهما، ويعدّ اتباعهما لهذه الطريقة من أهم معالم التفسير عندهما.

5 -يعدُّ الحسن البصريّ من أكثر التابعين إرسالاً للحديث إلى النبي – صلى الله عليه وسلّم – دون ذكر الواسطة، فروايته ونقله لبعض الأحاديث عمن لم يلتق بهم، و لم يأخذ عنهم، أو عن رجل مضعف عند علماء الحديث؛ هو الذي جعلهم يصفونه بالإرسال دون تثبتٍ، أو بالتدليس أو بالرواية عن الضعفاء.

6 -يعدُّ الإمام جابر بن زيد الأزديّ – رحمه الله – من أئمة السُّنة في البصرة الموثقين لدى نقاد الحديث جميعهم واتفقوا على ضبطه وعدالته، ويعدُّ سن ده عند الإباضية في الذروة العليا من مرتبة الإسناد، وأ ن عنعنته مقطوع باتصالها؛ ذلك أنّ جابراً أخذ عن الجم الغفير من الصحابة.

7 -من أهم معالم منهج جابر بن زيد فيما روي عنه في تفسير كتاب الله الاهتمام باستنباط الأحكام الشرعية وتقرير المسائل الفقهية من خلال آيات الأحكام، فالطابع الفقهي هو الغالب عليه معتمداً في ذلك على مصادر التشريع من قرآن وسنة ورأي وتوظيف للغة، والقراءات، وغيرها من أدوات التي أهلته للاجتهاد، وبذلك يمكننا القول بأنه ممن أصّل الطريق للتفسير الفقهي، فهو المحدِّث والفقيه المفسر..

8 -كما يتبين لنا اهتمام الإمامين بالقراءات القرآنية، حيث كانت لجابر قراءات متعددة مبثوثة في كتب التفسير، فهو كان يجنح إلى المأثور والمروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- والميل إلى المدلول اللغوي في القراءات القرآنية، بينما عرف الحسن بانفراداته فيها حتى عد ضمن القراء المشهورين، كما هو شأنه في الاستقلال والانفراد بالرأي في العديد من مسائل التفسير والفقه.

9 -أما المنهج الذي اتبعه الإمام الحسن البصري من خلال مروياته في التفسير فهو الاهتمام بالقراءات والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول، وهذا لا ينفي أنه كان له مروياته وآرؤه البارزة في علم الفقه، فقد كان إماماً مجتهداً في هذا العلم.

10 يمكن أنّ نعدّ مرويات كل منهما آراء تفسيرية لها أثرها البارز في النهوض بهذا العلم، و لم يصل إلينا ما يدل على إفرادها في كتاب مستقل يشمل القرآن كاملاً، بل أحيانا نجدها تظهر بقوة في علم من علوم القرآن، وتنضب في علم آخر.

فهرس المصادر والمراجع

1 -الأصفهانّي، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (د.ت) **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، بيروت: لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،(د.ط).

2 -الأصفهانيّ، الراغب (1997) **مفردات القرآن الكريم** (تح: عدنان داوودي) دمشق: سورية، الدار الشامية، وبيروت، لبنان، دار القلم.

3 -الآلوسيّ، محمود (د.ت) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، بيروت: لبنان، دار إحياء التراث العربي.

4 -جاجو، مصطفى صالح (2005) **منهج الاجتهاد عند الإباضية** ، مسقط: عمان، مكتبة الجيل الواعد، الطبعة الأولى.

5 -البخاريّ، أبو عبد الله (1422) **صحيح البخاريّ** (تح: محمد زهير الناصر) ،دار طوق النجاة، الطبعة الأولى.

6 -البخاريّ، محمد بن إسماعيل (1986) **التاريخ الصغير** (تح: محمود إبراهيم زايد، فهرس أحاديثه يوسف المرعشي) بيروت: لبنان، دار المعرفة، الطبعة الأولى.

7 -البسويّ، أبي يوسف يعقوب (د.ت) **المعرفة والتاريخ** (تح: أكرم ضياء العمري) بيروت: لبنان، مؤسسة الرسالة.

8 -البغداديّ، الخطيب (1403هـ) **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع** (تح: محمود الطحان) الرياض: المملكة السعودية، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى.

9 -البغداديّ، الخطيب (1405هـ) **الكفاية في علم الرواية** (تح: أحمد عمر هاشم) بيروت: لبنان، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى.

10 -البلاذريّ، أحمد (د.ت) **فتوح البلدان**، القاهرة: مصر، مطبعة لجنة البيان العربي (د ط).

11 -البيهقيّ، أحمد بن الحسين (1404هـ)**المدخل إلى السنن الكبرى** (تح: محمد ضياء الرحمن الأعظمي) الكويت، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي (د.ط).

- البيهقيّ، أحمد بن الحسين (1994) **سنن البيهقيّ الكبرى** (تح: محمد عبد القادر عطا)، السعودية: مكة المكرمة، مكتبة دار الباز، (د.ط).

12 -الترمذيّ، أبو عيسى (د.ت) **العلل الصغير** (تح: إبراهيم عطوة عوض) بيروت لبنان، دار إحياء التراث العربي، مطبوع بذيل الجامع له.

13 -ابن تيمية، أحمد (1414هـ) **مقدمة في أصول التفسير** (تح: محمد مطيع الحافظ، وغزوة بدير) بيروت: لبنان، دار ابن حزم، والقاهرة: مصر، دار الصحابة للتراث، الطبعة الأولى.

14 -الجرجانيّ، لشريف (1405) **التعريفات**، دار الكتاب العربي، دون طبعة.

15 -الحارثيّ، سالم بن حمد (1983) **العقود الفضية في أصول الإباضية** ، سلطنة عُمان، وزارة التراث القومي والثقافة (د.ط).

16 -الحاكم النيسابوريّ، محمد بن عبد الله (1990) **المستدرك على الصحيحين** (تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا) بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

17 -ابن حبان، محمد (1991) **مشاهير علماء الأمصار و أعلام فقهاء الأقطار** (تح: مرزوق على إبراهيم) المنصورة: مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

18 -الحجاج، مسلم (د.ت) **صحيح مسلم** (تح: محمد فؤاد عبد الباقي) بيروت: لبنان، دار إحياء التراث العربي (د.ط).

19 -ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (1390هـ) **لسان ميزان**، بيروت: لبنان، مؤسسة الأعلمي، نسخة مصورة عن طبعة 1329، الهند مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية.

20 -ابن حزم، علي بن أحمد (د.ت) **المحلى** (تح: أحمد شاكر) بيروت: لبنان، المكتب التجاري (د.ط).

21 -ابن حنبل، أحمد (1988) **العلل ومعرفة الرجال** (تح: وصي الله بن محمد عباس) بيروت: لبنان، المكتب الإسلامي، الرياض: السعودية، دار الخاني للنشر والتوزيع (د.ط).

22 -ابن حنبل، أحمد (د.ت) **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، القاهرة: مصر، مؤسسة قرطبة (د.ط).

23 -الحنبلي، ابن رجب (1407هـ) **شرح علل الترمذي** (تح: همام عبد الرحيم سعيد) الأردن، مكتبة المنار، الطبعة الأولى.

24 -الخضيريّ، محمد بن عبد العزيز (د.ت) **الإجماع في التفسير** ، موقع ملتقى أهل التفسير، ضمن مناقشات للشيخ الطريفي في قوله عن الحسن البصري أنه أكثر التابعين شذوذا في التفسير، بتاريخ 2007/12/13.

25 -الخطيب، محمد عجاج (1963) **السنة قبل التدوين** ، مصر، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى.

26 -ابن خلدون، عبد الرحمن (1389هـ) **المقدمة**، القاهرة: مصر، دار الشعب.

27 -ابن خلكان ،أبو العباس أحمد بن محمد (1900) **وفيات الأعيان أبناء الزمان** (تح: إحسان عباس) بيروت: لبنان، دار صادر.

28 -الخليليّ، أحمد بن حمد (1984) **جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل**، روي، سلطنة عمان، مكتبة الاستقامة، الطبعة الأولى.

29 -الدارقطنيّ، علي بن عمر (1966) **سنن الدارقطني** (تح: عبد الله هاشم يماني المدني) كتاب الزكاة، باب الغنى التي يحرم السؤال، بيروت: لبنان، دار المعرفة.

30 -الدارميّ، عبد الله بن عبد الرحمن (1407هـ) **سنن الدارمي** (تح: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي) بيروت: لبنان، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى.

31 -أبو داود، سليمان بن الأشعث (د.ت) **سنن أبي داود** (تح: محي الدين عبد الحميد) بيروت: لبنان، دار الفكر (د.ط).

32 -الدخيل، سالم عبد الله (1981) **القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه** ، الرياض: السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية أصول الدين، العقيدة والمذاهب المعاصرة، رسالة ماجستير.

33 -درويش، أحمد (1991) **جابر بن زيد حياة من أجل العلم** ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب (د.ط).

34 -الذهبيّ، محمد حسين (2000) **التفسير والمفسرون** ، القاهرة: مصر، مكتبة وهبة.

35 -الذهبيّ، شمس الدين محمد بن أحمد (1987) **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** (تح: عمر عبد السلام تدمري) بيروت لبنان، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى.

36 -الذهبيّ، شمس الدين محمد بن أحمد (1993) **سير أعلام النبلاء** ، بيروت: لبنان، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة.

37 -الرازيّ، عبد الرحمن بن أبي حاتم (1997) **تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين** (تح: أسعد محمد الطيب) مكة المكرمة: المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز (د.ط).

38 -الرامهرمزيّ، الحسن بن عبد (1404هـ) **المحدث الفاصل بين الراوي والواعي** (تح: محمد عجاج الخطيب) بيروت: لبنان، دار الفكر.

39 -الزرقاني محمد عبد العظيم (1995) **مناهل العرفان في علوم القرآن** (تح: فوّاز أحمد زمرلي) بيروت: لبنان، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى.

40 -السبكيّ، تاج الدين عبد الوهاب (2003) **جمع الجوامع في أصول الفقه** (تع: عبد المنعم خليل إبراهيم) بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية.

41 -ابن سعد، محمد (1968) **الطبقات الكبرى** (تح: إحسان عباس) بيروت: لبنان، دار صادر، الطبعة الأولى.

42 -السيوطيّ، جلال الدين (1368) **الإتقان في علوم القرآن** ، القاهرة: مصر، مطبعة حجازي (د.ط).

43 -السيوطيّ، جلال الدين (1993) **الدر المنثور**، بيروت: لبنان، دار الفكر.

44 -الشافعيّ، محمد بن إدريس ، (1393هـ) الأم، بيروت: لبنان دار المعرفة.

45 -ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد (1409) **مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار** (تح: كمال يوسف الحوت) الرياض: المملكة السعودية، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، وطبعة دار الفكر (1988) بيروت: لبنان، علق الأستاذ سعيد اللحام (د.ط)

46 -ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان (د.ت) **مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث** (تح: نور الدين عتر) دون تحديد لمكان النشر والطبعة .

47 -ابن عاشور، محمد الطاهر (1984) **التحرير والتنوير** ، تونس: الجمهورية التونسية، الدار التونسية للنشر ، الطبعة الأولى.

48 -ابن عاشور ، محمد الفاضل (1999) **التفسير ورجاله** ، تونس: الجمهورية التونسية، دار سحنون للنشر والتوزيع.

49 -ابن عبد البر (د.ت) **جامع بيان العلم وفضله** (تح: أبي شبال الزهيري) دار ابن الجوزي (د.ط).

50 -ابن عبد القادر، محمد صالح (2003) **التفسير والمفسرون في العصر الحديث**، بيروت: لبنان، دار المعرفة، الطبعة الأولى.

51 -ابن عطية، عبد الحق بن غالب (1993) **المحرر الوجيز** (تح: عبد السلام عبد الشافي) بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية،الطبعة الأولى.

52 -العك، الشيخ خالد عبد الرحمن (1986) **أصول التفسير وقواعده** ، بيروت: لبنان، دار النفائس، الطبعة الثانية.

53 – العوني، الشريف حاتم بن عارف (1997) **المرسل الخفي وعلاقته بالتدليس**، دراسة نظرية وتطبيقية على مرويات الحسن البصري، الرياض: المملكة العربية السعودية، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

54 -ابن فارس (1991) **مقاييس اللغة**، دار الجيل (د،ت) الطبعة الأولى.

55 -ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (1988) **البداية والنهاية** (تح: علي شيري) دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى.

56 -ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (1999) **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الرياض: المملكة السعودية، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.

57 -اللالكائي، هبة الله بن الحسن (د.ت) **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة** (تح: أحمد سعد حمدان) الرياض: السعودية، دار طيبة (د.ط).

58 -ماكدونالد (1956) **تطور الفقه الإسلامي والشرع والنظرية الدستورية** ، بيروت: لبنان (د.ط).

59 -ابن المرتضى، أحمد بن يحيى (1316 هـ) **المنية والأمل** (تح: نوما أرنولد) بيروت: لبنان (د.ط).

60 -المزاتي، ابن خلفون (1974) **أجوبة ابن خلفون** (تح: عمر خليفة النامي) بيروت: لبنان، دار الفتح، الطبعة الأولى.

61 -المزيّ ، أبي الحجاج يوسف (1985)**تهذيب الكمال في أسماء الرجال** ، بيروت:لبنان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة.

62 -ابن معين، يحي (د.ت) **التاريخ**، رواية الدوري (تح: عبد الله أحمد حسن) بيروت لبنان، دار القلم (د.ط).

63 -ابن مفلح، أبو عبد الله محمد (1381هـ) **الفروع**، القاهرة: مصر، دار مصر للطباعة، الطبعة الثانية.

64 -المقدسيّ، ابن قدامة (1972) **المغني**، بيروت: لبنان، دار الكتا ب العربي (د.ط).

65 -ابن منظور، محمد بن مكرم (د.ت) **لسان العرب**، بيروت: لبنان، دار صادر، الطبعة الأولى.

66 -النامي، عمرو خليفة (2000) **دراسات عن الإباضية** (ترجمة مراجعه ميخائيل خوري د. ماهر جرار) بيروت: لبنان، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى.

67 -النيسابوريّ، أبو عبد الله الحاكم (1995) **المستدرك على الصحيحين** (تح: مصطفى عبد القادر عطا) بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية (د.ط).